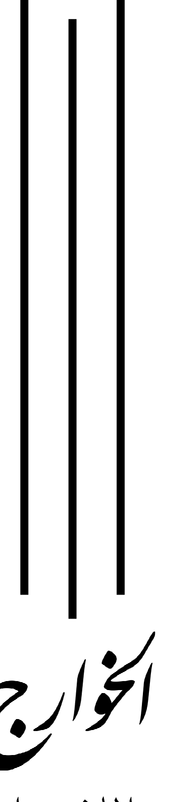


الخوارج

بين الماضي والحاضر

جميع الحقوق محفوظة لدى

رابطة العلماء السوريين

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦م

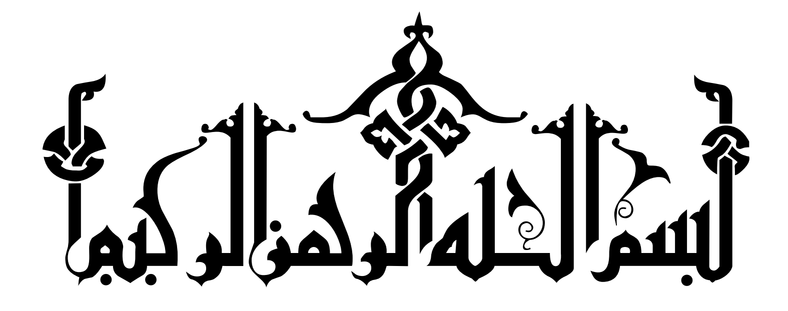




الخوارج

بين الماضي والحاضر

الدكتور محمد ياسر المسدي


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربِّ العالمين، ناصر المُستضعفين، وقاهر الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وقائد الغُرِّ الميامين، الذي فتح الله به قلوبًا غُلْفًا، وأعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، فكان رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى مَنْ سَار على نَهجِهم إلى يوم الدين.

وبعد:

تعيش أُمَّتنا الإسلاميَّة اليوم حربًا ضروسًا مع أعدائها لم يشهدْ لها التاريخ القديم ولا الحديث مَثيلًا، حيث اجتمعتْ عليها قُوى الطغيان والشرِّ من اليهود الماكرين والصليبيين الحاقدين، والروافض المنافقين، واللادينيين من الشيوعيين والعلمانيين ومن سار في ركابهم من العملاء الوصوليين والنفعيين.

وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح: ٢٢]. وكذلك قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

إنَّ هذا المكر الرهيب والتآمر الخبيث الذي رمانا به أعداء

الإسلام عن قوسٍ واحدة حيث جاءونا من كل حَدْب وصَوْب كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

كما يُحاول أعداؤنا في هذه الحرب خَلْطَ الأوراق وقلب الموازين، فقلبوا الباطل حقًّا، والحق باطلًا، وصنعوا من الجلادِ ضحيةً، ومن الضحية جلادًا، وجنَّدوا لذلك كلَّ وسائل الإعلام والتواصل، ولعلَّ هذا ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ قبلَ أكثر من أربعة عشر قرنًا حيث قال: «**سيأتي على الناس سنوات خدَّاعات يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصدوق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين**»(١).

ومن الأساليب الماكرة التي لَجَؤوا إليها أيضًا اللعب على ورقة الطائفيَّة والمذهبيَّة، وحماية الأقليَّات، فعملوا على تغذية أتباع الفرق والمذاهب الهدَّامة التي نَخَرت في جسدِ الأمَّة الإسلامية وفتَّت في عَضُدها على مدار التاريخ.

ونظرًا لأهمية هذا الموضوع كان لابدَّ من دراسة الفرق

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإسناده حسن.

المنسوبة إلى الإسلام حتى نتنبه إلى مخاطرها ونتحصَّنَ لمجابهتها، فهذا الصحابي الجليل **حذيفة بن اليمان** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يلفتُ نظرنا إلى ضرورة معرفة الشرِّ قبل أن يقع لنحصِّنَ أنفسنا منه حيث قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**»[1].

إنَّ دراسة الفرق ومعرفة مَخاطرها الظاهرة والخفيَّة من أهمِّ الأمور التي ينبغي علينا أن نهتمَّ بها وندرسها دراسة دقيقة، وذلك لنَصِلَ الحاضرَ بالماضي فنعرف جذور الخلافات التي أدَّت إلى التفرقة ونعرف أسباب الخلافات التي مزَّقت جسد الأمة، ولنرصد الحركات الهدَّامة ونُعَرّيَ دورها في تفريق الأمة **وما من بلاء مرَّ على المسلمين في الماضي إلا ونجده يتكرَّر اليوم بشكل واضح.** قال العلامة الدهلوي رحمه الله تعالى[2]: (إذا قرأت القرآن فلا تحسب أنَّ المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا، **بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الأنموذج بحكم حديث رسول الله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧)، من حديث أبي مسلم الخولاني.

(٢) الفوز الكبير لولي الله الدهلوي ص ٢٦.

سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى؟! قَالَ: «فَمَنْ»[1].

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، **فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**...»[2].

وها نحن اليوم نواجه خطرَ فئة ادعت الغَيْرة على الدين، والحرص على إقامة حكم الإسلام في الأرض، فلبست لَبوس الصالحين وتكلمت بكلام المجاهدين، فأعلنت عن قيام دولةِ الخلافة الإسلامية، ونصبت خليفة مجهول الحالَ، ودعتِ الناسَ إلى الانضواء تحتَ لوائه، وإعطاء البيعة له، واعتبروا كلَّ من لم يستجب لبيعته كافرًا مُرتدًا يَجب قتله.

أيُّ خلافة هذه؟! وأيُّ دولة هذه؟! إنَّها تفتقر إلى أبسط مُقوِّمات الدولة!، لا شورى! **ولا أهل حلٍّ وعقد يعتدُّ برأيهم!**، ولا أهل علم **ورأي يرجع إليهم في الملمَّات!**، فئة مُعتدية باغية

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

استغلَّت انتصارات المجاهدين فنسبتها إلى نفسها، وطردت المجاهدين من الأراضي التي حرروها واستباحت دماءهم وأعراضهم وأموالهم، ثم ادّعتْ أنَّها دولة الإسلام!.

وبالبحث والدراسة عن مَنهج هذه الفئة وصفاتها وتصرفاتها نجد أنَّ هذه الفئة مُتكررة على مدار التاريخ مع اختلاف ببعض الفرعيات وعادة ما تظهر هذه الفئة كلما حصل فرقة واختلاف بين المسلمين ـ كما سيمرُّ معنا ـ .

وإنَّنا (من باب الواجب الذي كلَّف الله تعالى به أهل العلم بأن يبلغوا دين الله عزَّ وجلَّ، وينفوا عنه خبث المغالين والمُتنطعين والمنافقين الكائدين، رأينا أن نُقدِّم سلسلة من المواضيع الهامَّة وخاصة عن الفرق الهدَّامة التي نخرت في جسد أمتنا، وقد تمَّ بفضل الله تعالى إصدار الكتاب الأول بعنوان: **(الشيعة الروافض)** وها نحن مع الكتاب الثاني بعنوان: **(الخوارج بين الماضي والحاضر)** لنكشف فيه الستار عن هذه الفئة الخارجة عن شرع الله تعالى، والخارجة عن منهج السلف الصالح.

هذه الفئة التي لم يُعرف أنَّ الرسول ﷺ نَعَتَ وفصَّل في

صفات فرقة بمثل ما وصف هذه الفئة وهي **(فرقة الخوارج)**، وذلك لعظيم خطرها، وسرعة اغترار الشباب المسلم بها جرَّاء الظلم والحيف الواقع على المسلمين، ولعلَّ هذا مقصود أعداء الإسلام حتى ينشأ جيلٌ مُتشدد يستطيعون من خلاله تشويه صورة الإسلام والمسلمين، فيبرروا لأنفسهم الحرب على المسلمين بحجَّة الحرب على المتطرفين والمغالين والتكفيريين الذين غَذَّوهم وصنعوهم على أيديهم.

ونرجو في هذا الكتيب أن نُساهم في كشف خطر هذه الفئة المُتطرِّفة، فتتضح الرؤية، ويزول الغَبَش وذلك من خلال الأدلَّة الواضحة من كلام ربِّ العالمين، وكلام سيد المرسلين، وكلام العلماء العاملين الثقات الذين شَهِدَت لهم الأمَّة بالعلم والصدق والعدالة سائلين الله تعالى أن يُزيح عن أمَّة الإسلام الغُمَّة، ويفرِّج الكربة، ويعيد للمسلمين هُويتهم وعزَّتهم وكرامتهم، وأن يفضح الخائنين والمنافقين والمرجفين حتى يتحقَّق قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصَّف: ٨].

الفصل الأول

الخوارج (تعريفهم ـ سبب تسميتهم بالخوارج ـ أهم فرقهم)

أولاً: تعريف الخوارج:

الخوارج في اللغة: مِنْ فِعلِ خَرَجَ خروجًا أي: برز مِنْ مَقرِّه وانفصل.

وخوارج جمع خارجة، أي: طائفة خَارجة.

والخوارج في الاصطلاح: **فرقةٌ من الفرق الإسلامية المبتدعة في الاعتقاد والأعمال.**

ثانيًا: سبب تسميتهم بهذا الاسم:

ذهب أغلب العلماء إلى أنَّ الخوارج هم الذين **خرجوا على الإمام علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد قبوله بالتحكيم[1]، وطلبوا منه **أن يَحكم على نفسه بالخطأ** والكفر.

---

(١) التحكيم المقصود به اتفاق الصحابيين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأن يوكل كلُّ واحد منهما حَكَمًا يقبلون بحكمه، فاختار علي أبا موسى الأشعري، واختار معاوية: عمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعًا.

وذهب بعض العلماء إلى التعميم، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (سُمّوا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين)[١].

وقال الشهرستاني: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان[٢].

وقال الإمام النووي رحمه الله: (سُمّوا خوارج لخروجهم على الجماعة، وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة، وقيل: لقوله ﷺ: **«إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ...»**[٣].

والمقصود به **ذو الخويصرة التميمي** الذي اعترض على رسول الله ﷺ وهو يَقْسِم الغنائم بين أصحابه حيث قال للنبي ﷺ:

(١) فتح الباري ١٢/٢٨٢.

(٢) الملل والنحل ١/١١٤.

(٣) شرح النووي لمسلم ٧/١٦٤ ومعنى ضضئ هذا: أصله.

اعدلْ فقال ﷺ: «**ويلك ومَنْ يعدل إذا لم أعدل**» فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: دعني أضرب عنقه، فقال: «**دعه، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ...**»، وفي رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ**، رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» قَالَ: أَظُنُّهُ قَالَ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»[1].

ثالثًا: أشهر الأسماء التي عرف بها الخوارج:

للخوارج عدة أسماء عُرفوا بها، يَقْبَلونَ بعضها ويَرفضون بعضها وهي:

الخوارج ـ الحَرُوريَّة[2] ـ الشُّراة[3] ـ المارقة ـ المُحَكِّمة[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤) عن طريق أبي سعيد الخدري.

(٢) الحرورية: نسبة إلى حَروراء، وهي قرية بالكوفة نزل بها الخوارج الذين خرجوا علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) سبب تسميتهم بالشراة قولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة.

(٤) سبب تسميتهم بالمحكمة إما لرفضهم تحكيم الحكمين، وإما لترداهم كلمة (لا حكم إلا لله).

وكل هذه الأسماء يَقبلونها باعتبار، ويَنفونها باعتبارٍ آخر، أمَّا تسميتهم بـ (المارقة) فهذه يرفضونها رفضًا قاطعًا؛ لأنَّها مِن خصومهم حيث ينطبق عليهم الحديث: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[1].

رابعًا: أشهر فِرَق الخوارج:

لقد ذكرَ بعض الباحثين أنَّ فرق الخوارج بلغت العشرين كل فِرْقة تُخالفُ الأخرى في بعض تَعَاليمها، ولكن الصفات العامَّة التي يتَّصفون بها غَالبة على الجميع ربما تتفاوت درجَتُها، ونذكر هنا أشهر فرقهم:

١ـ **الأزارقة**: أتباع نَافع بن الأزرق من بني حنيفة، حيث يعتبره أتباعه من أهم فقهاء الأزارقة على جهله وقلة علمه، وقد كَفَّرَ جميع المسلمين من عداهم، واستباحَ قتل النساء والأطفال وأهل الذمَّة، وحَرَّم التقيَّة؛ مستدلًا بقول الله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]، **واستحلَّ الغدرَ بمن خَالفه**، ويَعتبرون كلَّ من كان على

(١) فرق معاصرة، للعواجي، (ص: ٩١)، فكر الخوارج والشيعة، للصلابي، (ص١٤).

مذهبهم ولم يُهاجر إليهم كافرًا **ويُسَمُّونَ الذين لم يهاجروا القَعَدَة، أو القاعدين من أولي الضَّرر**، وكان نافع يُكَفِّرهم ويرى أنَّ دارَهم دار كفر، فكلُّ الأمَّة الإسلاميَّة دار كفر إلا معسكره، وأشهر من تولى إمارة الأزارقة بعد نافع، **قطري بن الفجاءة المازني التميمي** الذي قاتله المهلَّب بن أبي صفرة قتالًا مريرًا حتى هزمه بأرض فارس.

٢ـ النجدات: أتباع نجدة بن عامر، من بني حنيفة كذلك، ويرى أنَّ الدين أمران: **أحدهما**: معرفة الله ومعرفة رسوله، وتحريم دماء المسلمين، وتحريم غصب أموالهم والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب على الجميع، والجهل به لا يعذر فيه.

والثاني: ما سوى ذلك ـ فالناس مَعذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجَّة في الحلال والحرام.

بايعه خوارج اليمامة سنة ٦٦ هـ وغزا بهم البحرين وعُمان واليمن والطائف، لكنه لم يبسط نُفوذه إلا في البحرين.

خالف النجداتُ عامَّةَ الخوارج، **فقالوا بالتقيَّة**، أي: **أن يُظْهِرَ الخارجيُّ أنه جماعي حقنًا لدمه**، ولا يستحلون قتل الأطفال وأهل الذمَّة.

٣ـ الصُّفْرِيَّةُ: أتباع زياد بن الأصفر، وهم لا يَختلفون كثيرًا في تعاليمهم عن الأزارقة وإن كانوا أقلَّ تطرُّفًا منهم، وأشدَّ من غيرهم، فلا يُكفِّرون بالذنوب كلها، إنَّما يُكفِّرون بالذنوب التي فيها حدّ، ولا يحكمون بقتل أطفال مُخالفيهم ولا يَرون كفرهم وتخليدهم في النار خلافًا للأزارقة، وقد انتشروا في الموصل وأرض الجزيرة.

وأكثر الذين اعتنقوا مَبدأ الخوارج كانوا عربًا بدوًا، انضمَّ إليهم قَليل من الموالي[1].

٤ـ الأباضية: أتباع عبد الله بن أباض التميمي، و كانوا أقلَّ غُلوًا في الحكم على مُخَالفيهم، ونزعتهم أَميل إلى المُسالمة، فهم أبعدُ الخوارج عن الشَّطَطِ، **يرونَ أنَّ مُخَالفيهم كفارُ نِعْمة**، لا كفار في الاعتقاد؛ فتجوز شهادتُهم ومُناكحتهم والتوارث معهم، و لذا **بقي لهم فقه جَيِّد**، ولهم أتباع في ساحل عُمَان وزنجبار[2].

** ** **

(١) يُنظر كتاب: تاريخ التشريع الإسلامي، للشيخ القطان (ص ٢٦٧ و٢٦٨).

(٢) كتاب تاريخ التشريع الإسلامي، للشيخ القطان (ص ٢٦٧).

هل الأباضية من الخوارج

لقد اختلفَتْ آراءُ العلماء في الحكم على الأباضية هل هم من الخوارِج أم لا؟ علمًا أن أكثر كتب الفِرَق تَعتبرهم من الخوارِج، حتى إنَّ بَعْضًا من علماء الأباضيَّة لا يوجد في كلامهم ما يدلُّ على كراهة عَدِّهم من الخوارِج[1].

والظاهر من تتبُّع ما كُتب عنهم أنَّهم ينقسمون على أنفسهم ففيهم المتشدِّدون في الحكمِ على مُخَالفيهم ووصفهم بأنَّهم كفارٌ من أهل النار ما لم يَدينوا بالمذهب الأباضي، وفي ذلك يقول الشهرستاني في (الفَرْق بين الفِرَق): (أجمعت الأباضية على القول بإمامة عبد الله بن أباض وافترقت فيما بينها فرقًا يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة برآء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار)[2].

وقد ذهب الشيخ العواجي في كتابه: (فِرَقٌ مُعاصرة) إلى أنهم فرقة من فرق الخوارِج ونقل نصوصًا كثيرة من كتبهم تتحدَّث

---

(١) فرق معاصرة (ص ١٠٩).

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٠٣.

عن تزكية مَذهبهم وبطلان ما عداه، وأنَّ الله لا يَقبل غيرَ دين الأباضية الوهبية، وعدَّ منهم صاحب العقود الفضيَّة، وكشف الغُمَّة، وصاحب النيل، وشفاء العليل، وابن جميح وغيرهم من علماء الأباضية[1].

وهذه الفرقة مشهورة ومعروفة اليوم ولها أتباع ولها علماؤها وكتبها، أما ما عداهم فقد انقرضوا بشكل عام، ثم يظهر فكرهم بين الحين والآخر في أناس جدد، يتبنَّوْنَ مَذهبَهم وأفكارهم كحال المُغَرَّرِ بهم في تنظيم الدولة اليوم.

ولقد رأيت من الإنصاف في بحث موضوع الأباضية أن أَرجع إلى أحدِ الإخوةِ العُلماء حيث زارهم مِرارًا وعايشهم في مجَامعهم العلميَّة في عُمَان، فطلبتُ منه أن يفيدني برأيه فيهم فكتب إليَّ ما مُلخَّصه:

إنَّ الأباضيَّة ليسوا من الخوارج، وليسوا من الفِرَق الغالية، وكتبهم تَشهدُ بذلك، وجاء في كتاب بيان الشرع للإمام محمد بن إبراهيم الكندي وهو من كبار أئمة الإباضية: (الخوارجُ عندنا في قول أصحابنا إنَّهم سلطانٌ جَائر ممن يَدين بالضلال) ثم ذكر

(١) فرق معاصرة للعواجي ص ١٢٣.

أنَّ من استولى منهم على أهل بلد لم يَجُز تسليمَ الصدقة إليهم على معنى الاختيار ولا على الجبر)[1].

فقههم هو فقه أهل السنة من حيث المصادر، فهم يعتمدون كتب الحديث عندنا بالإضافة إلى مُسند الربيع، علمًا أنَّ أكثر أحاديث المسند هذا موجودة في كتب السنَّة.

أثنى على فِقهِهم كبارُ علماءِ أهل السنَّة مثل العلامة الشيخ مصطفى الزرقا والعلامة الشيخ محمد أبو زهرة، والعلامة الشيخ وهبة الزحيلي، و ذكروا بأنَّ فقههم هو فقه أهل السنة.

يُعظِّمون الصحابةَ رضوان الله عليهم، ويَنْقلون عن عليٍّ وعثمانَ كثيرًا من فقههم.

يتشدَّدون في قاعدة الولاء والبراء، وهي عندهم قائمة على أساس الدين. ثم قال في النهاية: (وهم في الحقيقة من أقربِ المذاهب الإسلاميَّة إلى أهل السنة وكثير من علمائهم قال: (ونحن من أهل السنَّة، ونذبُّ عن السنَّة، ومصادرنا هي من لبِّ مصادر أهل السنة). اهـ

---

(١) بيان الشرع ١/٧٢.

أقول: إنَّ الإنصاف والعدل أن نقبل ما يقول علماؤهم وما يقرّون به، وربما كان في علمائهم السابقين من كان يَحمل الفكرَ الخارجي ويُدافع عنه، ونحن مأمورون أن نقبل بما يظهر لنا، وبما يقوله علماؤهم الحاليون وإن كانوا فعلًا كما ذكر أخي (د.محمود عبود هرموش) فهذا يسعدنا ويَسرُّنا؛ لأننا دعاة إلى نبذ الخلافات وتقريب وجهات النظر بين المسلمين المعتدلين[1].

خامسًا: مصادر المعلومات عن فكر الخوارج ومعتقداتهم:

لا يوجد مصادر علميَّة مَشهورة ومعروفة تُنسب إلى الخوارج أرَّخت لنشأتهم، وأصَّلت لفقههم، ويُعلِّل العلماء ذلك بأنَّ حياتهم ـ غالبًا ـ كانت في حروب دائمة فلم يتفرَّغوا للتأليف ولم يَعْتنوا به، قال ابن تيمية رحمه الله: (وأقوال الخوارج إنَّما عرفناها من نَقْلِ الناس عنهم، لم نقفْ لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة)[2].

كما أشار ابن النديم لهذا الأمر فقال: (وهؤلاء قومٌ كُتبهم

(١) ملخص ما كتبه لي الأخ الأصولي الفقيه د. محمود عبود هرموش (المدرس في جامعة الجنان في طرابلس، لبنان).

(٢)الفتاوى ٤٨/١٣.

مَستورة قلَّما وقعت؛ لأنَّ العالم تشنؤهم وتتبعهم بالمكاره)[١].

ومن هنا كانت السُّنة وشروحها، وما سُطِّر في كتب الفِرَق والعقائد، والتاريخ والأدب، هي مصادر استقاء المعلومات عن الخوارجِ وآرائهم.

سادسًا: هل ظهور الخوارج محصور في زمان معين أو مكان معين:

يدلُّ استقراء تاريخ ظُهور الخوارج على أنَّ ظهورهم ليس مَحْصورًا بزمان أو مكان، فهم يَظْهرون بين الفينة والأخرى عند ظهور خِلافات بين المسلمين، ودليل ذلك حديث ذي الخويصرة الذي أخرجه البخاري ومسلم قال ﷺ في آخره «**يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**»[٢].

وفي رواية أخرى «**يخرجون في فرقة من الناس**»، وهذا ما نراه اليوم من ظهور هذه الفئة التي تستغلُّ الخلاف بين المسلمين، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (**كان شيطان الخوارج مَقموعًا لما كان المسلمون مُجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما افترقتِ الأمَّة في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

(١) الفهرس ص ٢٩١.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٤٦) عن طريق أبي سعيد الخدري.

وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفَّروا عليًّا ومعاوية ومن والاهما فقاتلهم أَوْلَى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1].

ودليل استمرار خروجهم ما رواه الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يخرج ناس من قِبَلِ المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقِيَهم **كلما قُطِعَ قرن، نشأ قرن، كلما قُطع قرن نشأ قرن، كلما قُطِعَ قرن نشأ قرن، حتى يخرج في بقيتهم الدجال**»، وفي رواية أخرى: «**كلما طلع قرن قطعه الله** ...»[2].

يُستدلُّ من الحديث:

ـ إنَّ ظهور الخوارِج وانتشار أفكارهم لا يقتصر على زمن معين بل خروجهم مُستمرٌّ إلى زمنِ الدجال، فهم يُعْرَفون بصفاتهم وأفكارهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨٩/١٦)، فكر الخوارج والشيعة، د. الصلابي (٦٢)، كتاب الخوارج، د. جلال علوان (٢٩).

(٢) رواه أحمد (٦٩٥٢)، وإسناده ضعيف، والحاكم في المستدرك (٨٥٥٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ـ إنَّ لفظ القطع في الحديث يوحي بسرعة زوالهم واستئصالهم، وقد ظهروا في فتراتٍ من التاريخ في بعض من بلاد المسلمين، ثم آلتْ جمَاعاتهم إلى الفناء والزوال، كلما طلع قرن قطعه الله، والقرن: حِقْبة من الزمن.

وهذه بشارة من رسول الله ﷺ بأنَّ دابِرَهم سينقطع ـ بإذن الله تعالى ـ عندما يَحسمُ المسلمونَ الصادقون أمرَهم فتتوحَّد كلمتهم وتخلص نياتهم ويقاتلون عدوَّهم صفًا واحدًا.

سابعًا: فقه الخوارج:

كثير من فِرَق الخوارج غلا في أخذ الأحكام من مَصَادر الشريعة، **واعتبر القرآن الكريم وحدَه المصدرَ الحقيقي، ولم يعترفْ بغيره**، وقد نجم عن هذا مخالفتهم لإجماع المسلمين في بعض المسائل، بحجة أنَّ القرآن يبطلها. وقالوا: رويتم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا وصية لوارث»[1]، والله يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨١] والوالدان وارثان على كل حال لا يحجبهما أحدٌ عن الميراث؛ فهذه الرواية

(١) رواه ابن ماجه (٢٧١٤) بسند صحيح من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في الوصيَّة خلاف كتاب الله عزَّ وجلّ[1].

وقالوا: رويتم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»[2]، وأنه قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[3]، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إلى آخر الآية...، ولم يذكر الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، ولم يحرم من الرضاع إلا الأم المرضعة، والأخت بالرضاع، ثم قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] فدخلت المرأة على عمتها وخالتها، وكل رضاع سوى الأم والأخت فيما أحلَّه الله تعالى[4].

---

(١) وفي هذا إنكار للنسخ الذي قال به جمهور الفقهاء، قال العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى: (ولقد نسخت آية المواريث عند جمهور الفقهاء الوصيَّة لوارث التي ثبتت بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ...﴾ [البقرة:١٨١]). (أصول الفقه ص ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٠٩) ومسلم (١٤٠٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) قال النووي رحمه الله تعالى: «بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاء يَحْرُم الْجَمْع بَيْنهمَا. وَقَالَتْ طَائِفَة مِنْ الْخَوَارِج وَالشِّيعَة: يَجُوز ... وَالصَّحِيح الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُور الْأُصُولِيِّينَ جَوَاز تَخْصِيص عُمُوم الْقُرْآن بِخَبَرِ الْوَاحِد ، لِأَنَّهُ ﷺ مُبَيِّن لِلنَّاسِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كِتَاب اللَّه». شرح النووي على مسلم (٥/٩٠).

وقد ذكر ابن قُتيبة هذه المسائل وغيرها نقلًا عن الخوارج في كتابه «تأويل مختلف الحديث» وردَّ عليها، ولهذه النزعة أثر عند بعض الناس في عصرنا الحاضر الذين يرون الاكتفاء بالقرآن وَحدَه[1].

ومن جهلهم بدين الله ردّهم السنَّة النبوية من ذلك: أمرهم الحائض بقضاء الصلاة، وقد حدث أنَّ امرأة سألت أمَّ المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ. فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ: «كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ، فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ»[2]، قولها: (أحرورية أنتِ؟) أي: هل تَعترضين على السنَّة، كشأن الخوارج من أهل حَروراء، فمن منهجهم ردُّ سنة النبي ﷺ، قال عنهم الإمام ابن تيمية: (**هم جُهَّال فارقوا السُّنَّة والجماعة عن جهل**)[3].

وقال ابن حجر رحمه الله تَعقيبًا على ردِّهم السنَّة: (وهذا كله

(١) ينظر: تـأويل مختلف الحديث: (١٩٣ و١٩٤...) وتاريخ التشريع الإسلامي للشيخ مناع القطان، ص ٢٦٨ و٢٦٩.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٣٥) عن طريق معاذة بنت عبد الله العدوية.

(٣) مجموع الفتاوى ٣١/٢.

من آثارِ عبادة الجُهَّال، الذين لم تنشرحْ صدورهم بنور العلم، ولم يتمسَّكوا بحبلٍ وثيقٍ منه، وكفى أنَّ رأسهم ردَّ على رسولِ الله ﷺ أَمْرَه ونَسَبَه إلى الجَوْر، نسأل الله السلامة)[1].

وكأنَّ النبي ﷺ قد أشارَ إلى الخوارج ومن سلكَ مَسْلكهم بقوله في الحديث الصحيح: (**لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمرُ من أمري ممَّا أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقولُ: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبَعْناه**)[2].

ثامنًا: أهم صفات الخوارج كما وردت في السنة المطهرة:

١ـ أهل غلو وتطرف:

الخوارج هم أول من بذر بذرة التكفير في جَسَدِ الأمَّة واستحلَّ دماء وأموال من خالفَ آراءَهم وتفسيراتهم للنصوص الشرعية.

---

(١) فتح الباري ٣٠١/١٢.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨٧٦) ، وأبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وقال: (هذا حديث حسن). وفي رواية لابن ماجه: قال ﷺ: «**ألا إنَّ ما حرَّم رسول الله مثل ما حرم الله**>، ابن ماجه في المقدمة، باب: تعظيم حديث رسول الله ﷺ، رقم ١٢.

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: **الخوارج هم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلُّوا دماءَ أهلِ القبلة بذلك، فقالوا**: ما الناس إلا مُؤمن أو كافر، والمؤمن من فَعَلَ جميع الواجبات وتركَ جَميع المحرَّمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافرٌ مخلَّد في النار، ثم جعلوا كلَّ من خالف قولهم كذلك)[1].

وأول من بدأوا بتكفيره من أصحاب رسول الله ﷺ **عليٌّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: (أجمعت الخوارج على إكفار عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن حَكَّم، وهم مُخْتلفون هل كُفره شرك أم لا)[2].

ثم كَفَّروا **عثمان ومعاوية وأبا موسى الأشعري** رضي الله عنهم أجمعين، بل كفروا كلَّ من رضي بالتحكيم ووافق عليه بزعمهم بأن هذا الحكم مُخالف لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

---

(١) الفتاوى ٤٨١/٧.

(٢) مقالات الإسلاميين ص ٨٦.

كما طعنوا في أصحاب الجمل[1] (طلحة، والزبير، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ). **والتكفير عندهم له صورٌ كثيرة ابتداءً بتكفير أصحاب الكبائر إلى التكفير بالظنِّ والشبهات لكلِّ من يخالفهم،** فهم يَعتبرون جماعتهم جماعة المسلمين ومن خالفهم فهو عدوٌّ للإسلام والمسلمين.

ومن مُعتقداتهم أنَّهم يعتبرون العمل بأوامر الدين جُزءًا من الإيمان فمن قصَّرَ في شيء من أوامرِ الدين فهو كافر.

٢ـ يقتلون ويقاتلون أهل الإسلام، ويَدَعُونَ أهل الشرك والأوثان: قال رسول الله ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتُهم قتلتهم قتلَ عاد**»[2].

ولم يكتفِ الخوارج بالاستهتار في تكفيرِ المسلمين، **بل رتَّبوا على التكفير أحكامًا ابتدعوها فكانوا سِلْمًا** على أهلِ الكفر الحقيقيين، حربًا على أهل الإسلام وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول:

---

(١) بعد أن قتل سيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج مجموعة من الصحابة فيمن خرج إلى البصرة لتأليف الكلمة والإصلاح بين الناس وللتوصل بذلك إلى إقامة الحد على قتلة عثمان.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين**»[1]. ونذكر على سبيل المثال بعض القصص والوقائع من قتلهم للمسلمين وإفسادهم في الأرض:

أـ قتل عبد الله بن خباب بن الأرت:

لقي عبدُ الله بن خباب بن الأرت ابن صاحبُ رسول الله ﷺ فئةً من الخوارج، وكانت معه امرأته فأعطَوه الأمان، وقالوا له: «**لا رَوْعَ عليك**»، ثم قالوا له حدِّثنا عن أبيك بحديث سَمِعَه من النبي ﷺ لعلَّ الله ينفعنا به، فقال: حدثني أبي عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي**» قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: «**كُنْ كَابْنِ آدَمَ**»[2]، ومُقتضى الحديث القعود عن الفتن، فقالوا: لهذا الحديث سألناك، ثم بدؤوا في امتحان الرجل.

---

(١) رواه البخاري في تراجمه. بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

(٢) رواه الترمذي (٢١٩٤) عن سعيد بن أبي وقاص، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن.

ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيرًا، قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته، وفي آخرها؟ قال: إنه كان محقًّا في أولها وفي آخرها.

قالوا: فما تقول في عليٍّ قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنَّه أعلم بالله منكم، وأشدُّ توقيًّا على دينه، وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنَّك تتَّبع الهوى، وتُوالي الرجالَ على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنّك قِتلةً ما قتلناها أحدًا، فأخذوه فكتَّفوه، ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متمّ.

حتى نزلوا تحت نخلٍ فسقطت منه رطبةً فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه، فقال أحدهم: بغير حِلِّها، وبغير ثمنٍ! فلفظها وألقاها من فمه!.

ثم أخذ سيفه فمر به خنزيرٌ لأهل الذمة فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فسادٌ في الأرض، فأتى صاحب الخنزير فأرضاه في خنزيره!.

فلما رأى ذلك ابن خباب، قال: (لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليَّ منكم بأسٌ، إنِّي لمسلمٌ ما أحدثتُ في الإسلام حَدَثًا، ولقد أمنتموني قلتم: (لا رَوع عليك) فجاؤوا به

فأضجعوه، فذبحوه، وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة فقالت: إنما أنا امرأة ألا تتقون الله! فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوةٍ من طيء وقتلوا أم سنان الصيداويَّة.

فبلغ ذلك عليًّا ومَن معه من المسلمين من قَتْلِهم عبد الله ابن خباب، واعتراضهم الناس[1].

ب ـ قتل الحارث بن مُرَّةَ العبدي:

بعث علي بن أبي طالب إليهم الحارثَ بن مُرَّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتمه، فخرج حتى انتهى إلى النهر لِيُسائلهم فخرجَ القوم إليه فقتلوه...)[2].

جـ ـ قتل عبادة بن قرط الليثي:

قال **عبادة بن قرط الليثي** للخوارج حين أخذوه بالأهواز: (ارضوا مني بما رضي رسول الله ﷺ حيث أسلمت) قالوا وما رضي منك قال: أتيته فشهدتُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول

(١) ينظر: الكامل في التاريخ: (٢/٦٩١).

(٢) تاريخ الطبري ٤/٦٠، وانظر فتح الباري ١٢/٢٨٣.

الله ﷺ فقبل ذلك مني فأبوا فَقَتلوه)[1].

د ـ إفسادهم في زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز:

وفي زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وهو المعروف بعدله وتقواه كانوا مُستمرِّين في الخروج والإفساد في الأرض، ولما خرجت خارجة من الحَرورية كتب إليهم عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله أن يَأتيني منكم رجلان، وبيني وبينكم كتاب الله عزَّ وجلَّ، فأتياه فخاصمهما، وقالا: نرجع على أنَّا نَسيحُ في الأرض، فأقسموا على أن لا يُخيفوا سبيلًا، ولا يهريقوا دماءً، فقال عمر: فإن فعلتم فقد آذنتكم بالحرب، فساح أحدهما فأهراق دماء، وأخاف السبيل، فبعث عمر بن عبد العزيز إليه سعيدًا الجرشي في أهل الكوفة فقتلوه وقتلوا أصحابه [2].

قال ابن حجر: (**إنَّ الخوارج لما حَكَموا بكفر من خَالفهم استباحوا دِماءَهم وتركوا أهل الذمَّة** فقالوا: نفي لهم بعهدهم وتركوا قتالَ المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كلُّه **من**

---

(١) تاريخ الخوارج للدكتور بلال علوان نقلًا عن أصول شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥/٤٠٨.

(٢) التنبيه والرد، للملطي (ص ١٩٥)، والسنة لعبد الله بن أحمد ٢/٦٤٢.

آثارِ عبادة الجُهَّال، الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم، ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم ردَّ على رسول الله ﷺ أمْرَه ونَسبَه إلى الجَوْر، نسأُل الله السلامة[1].

٣ـ أهل عبادة وزهد، ولكنهم يعبدون الله تعالى على جهالة:

عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قومٌ من أُمَّتي يَقْرؤون القرآنَ ليستْ قراءتُكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يَقْرؤون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم لا تجاوز صلاتُهم تَرَاقِيَهم، يَمْرُقون من الدين كما يَمْرقُ السَّهمُ من الرميَّة**»[2].

قوله: «**ليس قراءتكم... ولا صلاتكم...**» أي: تَسْتَقِّلُونَ عبادَتكم تجاه عبادتهم لكثرة عبادتهم. ومعنى: «**يمرقون من الدين**» أي: لا يَعْلُقُ فيهم من دين الله شيء كحال السهم إذا دخل في الصيد فيدخل ثم يخرج ولم يعلق به شيء.

---

(١) فتح الباري ٣٠١/١٢.

(٢) مسلم (١٠٦٦) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا حالهم يدخلون في الدين مُتشدِّدين في غير موضع التشدَّد ثم يمرقون أي يخرجون منه سريعًا لا يتمسكون منه بشيء.

قال النووي رحمه الله: (طائفةٌ مَارقة وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، يبالغون في الصلاة والقراءة ولا يُقيمون بحقوق الإسلام بل يَمْرقون منه)[1].

وقد وصف ابنُ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عبادَتَهم بقوله: (أَتيتُ قومًا لم أرَ قطُّ أشدَّ اجتهادًا منهم مُسَهَّمةٌ وجوهُهم من السَّهر، كأَنَّ أيديهم ورُكبَهم ثَفِنٌ[2] عليهم قُمُصٌ مُرحَّضةٌ مُسَهَّمة وجوههم): أي متغيرة من كثرة السهر[3].

ومما ورد في وصفهم: أنَّهم كانوا **يوصفون بالقُرَّاء** لاجتهادهم في تلاوة القرآن الكريم.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٦/٧.

(٢) أيديهم وركبهم ثفن: ثفن: جمعة ثِفنَة: ما وَلِيَ الأرض من كل ذات أربع إذا بركت، أي: يحصل في الركبتين وغيرهما غِلَظٌ من أثر البروك، وهؤلاء من كثرة سجودهم غَلظت ركبهم فأصبحت كثفئات البعير.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤٢٩/٢.

عن جندب الأزدي قال: (لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فانتهينا إلى مُعسكرهم فإذا لهم دويٌّ كدويِّ النحل من قراءة القرآن)[1]. وكان يقال لهم: القُراء؛ لشِدَّة اجتهادهم في التلاوة والعبادة.

أما قولنا: إنَّ عبادتهم قائمة على الجهل: من المعلوم أنَّ العبادة لابد أن يتوفر فيها شرطان:

الشرط الأول: الصواب بمعنى أن تكون موافقة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ: وهذا لا يتأتى إلا بالعلم.

والشرط الثاني: الإخلاص لله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزُّمر: ٢].

ومما يؤكد جهلهم وصف رسول الله ﷺ لهم بقوله: (سفهاء الأحلام)[2] أي: **تفكيرهم محدودٌ بعيدون عن الفقه الذي يعني التعمُّق في فهم أحكام الدين.**

---

(١) تلبيس إبليس ص ٩٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦) عن طريق علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومن خلال مُراجعة بعضِ الأحداثِ التي وقعت من الخوارِج تتأكَّد لنا هذه الحقيقة فلا يُوجد عندهم ما يُسمَّى **فقه المصالح والمفاسد، والعلم بمراتبها، ولا فقه الموازنات.**

ومن أهمِّ الأدلة التي تدلُّ على ضَحَالة علمهم، وسقم تفكيرهم، خروجهم على الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **واتهامهم له بالكفر بسبب قبوله بالتحكيم** وإنكارهم عليه تحكيم الرجال بحجة ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

نعم القول بأنَّ (الحكم لله) لا يختلف عليه مؤمنان، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ولكن أساءوا تفسيرها، وحملوها على معنى باطلٍ شاذٍّ فاعتبروا تحكيم الرجال حُكْمًا بغيرِ ما أنزل الله، ويردُّ ذلك كثيرٌ من الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ألم يقل الله تعالى عندما يحصل اختلاف بين الزوجين: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]. وقال في موضع الصيد في الحرم: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]؟.

إنَّ مجرد التطاول على الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **ابن**

عمِّ رسول الله ﷺ المبشر بالجنة، رجلِ العلم والقضاء، والحلم والأدب، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن قاضيًا، وهو شاب ودعا له فقال: «**اللَّهُمَّ اهدِ قلبه، وثبِّت لِسَانه**» فكان يقول بعد ذلك (فوالذي فلق الحبة، ما شككت في قضاء بين اثنين)[١].

روى ابن سعد في الطبقات: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إذا حدثنا ثقة عن عليٍّ بفتيا لا نَعْدُوها»[٢]، وأخرج الحاكم قول النبي ﷺ: «إن أرأف أمتي بها أبو بكر ... وَإِنَّ أَقْضَاهَا عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ»[٣]، ومما يدلُّ على جهلهم أيضًا ردُّ كثير من فرقهم سُنَّة النبي ﷺ وبعدهم عن الفقه.

٤ـ تعصبهم لمعتقداتهم وتفانيهم في نصرة مذهبهم وجماعتهم:

الخوارج من أشدِّ الفِرَق الإسلاميَّة تعصُّبًا لمذهبها وحماسًا لآرائها، وتضحيةً في سبيل مُعْتقداتها. **أخلصوا لباطِلِهم إخلاصًا مُنقطع النَّظير**، ومن ذلك:

---

(١) أخرجه أحمد (٦٣٦) وابن ماجه (٢٣١٠) عن طريق علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو حديث صحيح.

(٢) (٣٣٨/٢).

(٣) في المستدرك (٦٣١١) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد حكم الذهبي والسيوطي على الحديث بأنه ضعيف.

ـ طلبوا من سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يَحكم على نفسه بالكفر لقبوله التحكيم وأن يَرجع عما أبرم مع معاوية بن أبي سفيان من شروط فأبى عليهم، فما كان منهم إلا أن استمروا على تكفيره وقتاله، وكان إذا خطب في المسجد قاطعوه بقولهم: (لا حكم إلا لله)[1].

ـ أرسلَ الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى أهل النهر أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم لنقتصَّ منهم، فقالوا له: **كلّنا قتلهم وكلنا مُستحلٌّ لدمائكم ودمائهم**، فكانوا من أخلص الناس لباطلهم ونصرة مُعتقداتهم غير مُبالين بما ينالهم بعد من قتالٍ أو طَرد أو اضطهاد[2].

وإذا قلنا بأنَّ ذا الخُويصرة هو أصلُ الخوارج ـ كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء ـ الذي قال للنبي ﷺ: «اعدل» ثم سار على نهجه من كان على طريقته ومنهجه، يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى مُتحدثًا عنه: (وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لَعَلِمَ أنَّه لا رأي له فوق رأي رسول الله ﷺ، والذي هوى

(١) يُنظر: تاريخ التشريع الإسلامي، للشيخ مناع القطان (ص ٢٦٣).

(٢) يُنظر كتاب: الخوارج، للدكتور بلال علوان، (ص ٢٦).

بأصحاب ذي الخويصرة هو إعجابهم برأيهم، وظنُّ السوء في غيرهم، وكانت الخوارج تتعبَّد، إلا **أنَّ اعتقادهم أنَّهم أعلم من عليٍّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرض صعب أوقعهم في المهالك**[1].

٥ـ **تفسير القرآنَ الكريم باجتهادهم الخاص**: غالبًا ما يفسر الخوارج القرآن الكريم باجتهاداتهم الخاصة التي تؤيد معتقداتهم وأفكارهم فيأخذون بِظَاهر النص، دون النظرِ إلى دَلالة النص، ومن الأمثلة التي أخذوا فيها بظاهر النصوص قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وكذلك قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وكذلك قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[2] **وهذه النصوص عند علماء أهل السنة والجماعة لا يُراد بها الكفر الذي يُخرج من الملة**، و لا يراد بها نفي حقيقة الإيمان،

---

(١) تلبيس إبليس ص ٩٠ و٩١.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إنما يراد نفي كمال الإيمان[1].

ولم تكتفِ هذه الفئة الخارجة الضالة بتكفير كلِّ من عداهم من المسلمين، بل رتَّبوا على ذلك أحكامًا نفَّذوها بحقِّهم من قَتْلٍ وانتهاكٍ لحرماتهم وأعراضهم.

ومن مُعتقداتهم: أنَّهم يعتبرون المكان أو الأرضَ التي لا سلطان لهم عليها بمثابة دارِ الكفر يجب الخروجُ منها إلى مَكان يُقيمون به دولتهم وإمارتهم.

ومما يدل على ذلك قول نافع بن الأزرق أحد رؤوسهم: (إنَّ الدارَ دار المخالفين ـ أي المخالفين لمذهبهم ـ دارُ كفر، وأنهم جميعهم في النار، وكلُّ مَنْ فيها كافر، لا يحلُّ الأكل من ذبائحهم، ولا مناكحتهم ولا يتوارث الخارجي ولا غيره، وهم مثل كفار العرب وعبدة الأوثان، لا يقبلُ منهم إلا الإسلام أو السيف)[2].

٦ـ يحسنون الأقوال ويسيئون الأفعال:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال:

(١) تاريخ التشريع الإسلامي، للدكتور مناع القطان.

(٢) لوامع الأنوار مواضع وسواطع الأسرار الأثرية للسفارين (ص ٥٠).

«يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يُحْسِنُونَ الْقَوْلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ»[1].

إنَّ من يَسمع شعارات الخوارِج وأشباههم في العصر الحاضر **يَعيش حالةً من الخداع والأوهام الكاذبة.**

فما أجمل الدعوة إلى الخلافة الراشدة، وتنصيب خليفة للمسلمين يحكم بالعدل والقسط يملؤها عدلًا بعد أن مُلئت جورًا.

وما أجمل أن يعلن عن إقامة حكم الإسلام في بلد مسلم، إنها أُمنية كل مسلم صادق، ولكنها للأسف **دعوات برَّاقة خدَّاعة** تستميل قلوب الشباب الطاهر الذي يتطلَّع إلى أن يتنسَّم هواء الحريَّة والعدالة والكرامة، ولكن للأسف لما تنزل إلى الواقع تَختلف الأمور وتَضيع الموازين.

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي مُعَلِّقًا على حديث: «يتكلمون بالكلمة لا تجاوز حلوقهم» (أي: يتكلمون ببعض الأقوال، والتي هي من خيار أقوال الناس في الظاهر مثل

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٦٥٩)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، والحديث أصله عند البخاري ومسلم.

قولهم: إن الحكم إلا لله، ونظائرها كدعائهم إلى كتاب الله)[1].

ولعلَّ هذا ما كان يَخْشاه علينا رسولُ الله ﷺ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»[2].

وأنقل هنا كلامًا لأحد خُطباء الخوارج وهو يُنادي (لا حكمَ إلا لله) يقول:

أما بعد: فإنَّه لا ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا آثَرَ عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول الحق، وإنْ مُنَّ[3] وضُرَّ، فإنه من يُمنُّ ويُضرُّ في هذه الدنيا فإنَّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله عزَّ وجلَّ والخلود في جنَّاته)[4].

ما أجملَ هذا الكلام! وما أعذبه! في الظاهر ولكن أفعالهم

(١) حاشية السندي على سنن النسائي ٧٢/١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٣)، وقال عنه الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

(٣) مُنَّ: مِنْ مَنَّ الأمر فلانًا: أضعفه وأعياه.

(٤) تاريخ التشريع للشيخ مناع القطان ص٢٦٣.

في الغلو والتشدُّد والغلظة في التعامل مع الناس، بل التكفير لمن يُخالفهم حتى صحابة رسول الله ﷺ لم يسلموا منهم، ثم استحلال دمائهم وأعراضهم هو سمة تصرفاتهم وأفعالهم.

ومع ذلك ـ للأسف ـ يقع في شباكهم كثير من شبابنا المُتحمِّس البريء يقول ﷺ: «**سَيَأتي على النَّاس سنوات خدَّاعات، يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين**»[١].

مناظرات مع الخوارج

١ـ مناظرة الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج:

نقل ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية[٢] عن عبد الله بن شداد قال: إنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما كاتب مُعاوية ـ بخصوص التحكيم ـ خرج عليه ثمانية آلاف من قُرَّاء الناس فنزلوا بأرض يقال لها **حَروراء من جانب الكوفة**، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلختَ من قميص أَلْبَسَكَهُ الله تعالى، واسمٍ سمَّاك الله تعالى به ثم انطلقتَ فحكمتَ في دين الله فلا حكم

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة.

(٢) (١٠/ ٥٦٥).

إلا لله، فلما أن بلغ عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر مؤذنًا أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قرَّاء الناس.

دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: **أيها المصحف حَدِّثِ الناس**، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنما هو مداد حبر في ورقٍ، ونحن نتكلَّم بما روينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا** ﴾ [النساء: ٣٥]. فأمَّة محمد ﷺ أعظم دمًا وحرمةً من امرأةٍ ورجلٍ.

ونقموا عليَّ أن **كاتبتُ مُعاوية** وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشًا فكتب رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سهيل: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال: «**كيف نكتب؟**» قال: اكتب باسمك اللَّهُمَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**اكتب**»، فكتبت

فقال: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك. فكتب: «**هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا**»، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ثم بعث إليهم عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إليهم ليتابع مناظرتهم:

٢- مناظرة الصحابي عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا للخوارج:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قال قلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة (لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)، أدخلُ على هؤلاء القوم فأكلمهم، فقال: إني أخاف عليك، فقلتُ: كلا، وكنتُ رجلًا حسن الخلق، لا أؤذي أحدًا، فأذِنَ لي، فلبستُ حُلّة من أحسن ما يكون من اليمن وترجَّلتُ، فدخلتُ عليهم نصفَ النهار، فدخلت على قومٍ لم أرَ قط أشدَّ منهم اجتهادًا، جِباهُهم قَرِحة من السجود، وأياديهم كأنها ثِفَن الإبل، وعليهم قُمُصٌ مرحضةٌ[1]، مشمرين مسهمة وجوههم من السَّهر.

---

(١) تقدم شرحها.

فَسَلّمتُ عليهم فقالوا: مرحبًا بابن عباس، ما جاء بك؟ فقلت: أتيتُكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عندِ صهرِ رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشًا فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزُّخرف: ٥٨].

فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنَّه، فقلت: (**هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن،** وليس فيكم منهم أحدٌ؟ قالوا: ثلاثًا، قلتُ: هاتوا، قالوا: أما إحداهن: فإنه حَكّم الرجال في أمر الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [الأنعام: ٥٧]. فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عزَّ وجلَّ؟ فقلتُ: هذه واحدةٌ، وماذا؟.

قالوا: وأما الثانية: فإنَّه قاتلَ وقَتلَ ولم يَسْبِ ولم يَغنم، فإن كانوا مؤمنين فلِمَ حلَّ لنا قتالهم وقتلهم ولم يحلَّ لنا سبيهم؟ قلتُ: وما الثالثة؟.

قالوا: فإنَّه محا عن نفسه أمير المؤمنين، فإنَّه إن لم يكن أميرَ المؤمنين فإنه لأميرُ الكافرين؟ قلتُ هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا.

قلتُ لهم: أما قولكم حَكَّم الرجال في أمر الله، أنا أقرأُ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا فإذا نقضَ قولَكم أترجعون؟ قالوا: نعم، قلتُ: فإنَّ الله قد صيَّر من حُكْمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا هذه الآية: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]. إلى آخر الآية. وفي المرأة وزوجها، قال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]. فَنَشَدتُكم بالله هل تعلمون حكم الرّجال في إصلاح ذات بينهم، وفي حقن دمائهم أفضل، أم حكمهم في أرنب؟ وبُضع امرأة؟ فأيّهما ترون أفضل؟ قالوا: بل هذه، قلتُ: أخَرَجْتُ من هذه؟ قالوا نعم.

قلتُ: وأما قولكم قاتَل ولم يَسْبِ ولم يَغنَم، فتَسبُون أمَّكم عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا! فوالله لئن قلتُم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم لنسبينّها ونستحلُّ منها ما نستحلُّ من غيرها لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين؛ لأنَّ الله عزَّ وجلّ قال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. أَخَرَجْتُ من هذه؟ قالوا نعم.

قلتُ: وأمَّا قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون، النبيُّ ﷺ يوم الحديبية صالحَ المشركين فقال لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اكتب لهم كتابًا**» فكتب لهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله**» فقال المشركون: والله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنك تعلم أني رسول الله، امْحُ يا علي، اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله**»[1] فو الله لرسول الله خيرٌ من عليّ وقد محا نفسه.

قال: **فرجع معه ألفان.**

الخوارج ومعركة النهروان:

لقد بذل الإمام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وُسعه وبذل جُهده في حوار الخوارج ونصحهم، حتى رجع منهم عدد كبير عن أفكارهم وضلالاتهم ولكن بقي منهم أيضًا عدد كبير يقارب ألفي شخص مُعاندين ومُكابرين، ولما استفحلَ أمرهم وقاموا بسفك الدماء وقتل الأبرياء مثل: عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته، أرسل إليهم أن سَلِّموا القَتَلة لإقامة الحدِّ عليهم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٦٥٦) وصححه، وقال الذهبي: على شرط مسلم. وأخرجه أحمد في مسنده (١٨٩١٠).

فأجابوه: كلُّنا قتلة، فسارَ إليهم بجيشه الذي أعدَّه للذهاب إلى الشام في **شهر محرم ٣٨هـ وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان**، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان[1]، كان أمير المؤمنين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عَنَاهم رسول الله ﷺ بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحثُّ أصحابَه أثناء مَسيرهم إليهم ويحرِّضهم على قتالهم، فقال: أيُّها الناس إني سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَقول: «**يخرج قومٌ من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يَمرقون من الإسلام كما يمرقُ السهم من الرَّمِيَّة**» لو يعلم الجيش الذي يصيبونه ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ وآية ذلك أن فيهم رجلًا له عضد وليس له ذراع، **على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض** فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم

---

(١) مدينة النهروان: منطقة بين بغداد وواسط، يجري فيها نهر يدعى باسمها ويصب في نهر دجلة. كانت بها وقعة النهروان بين الإمام علي وبين الخوارج سنة ٣٨هـ. ينظر: معجم البلدان: ٣٢٥/٥.

وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنَّهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله)[1].

وقال رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في يوم النهروان: **أمرتُ بقتال المارقين. وهؤلاء المارقون**[2].

وعسكر الجيش في مُقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه أن لا يبدؤوا بالقتال، حتى يجتاز الخوارج النهر غربًا، وأرسلَ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ رُسُلَه يُناشدهم الله ويأمرهم أن يَرْجعوا، **وأرسلَ إليهم البراء بن عازب** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ **يدعوهم ثلاثة أيام فَأَبَوا**[3]، **ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر**[4]، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل على كل محاولات الصلح وحِفْظ الدماء، ورفضوا عنادًا واستكبارًا العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب

---

(١) أخرجه الإمام مسلم (٧٤٨، ٧٤٩).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١٤٤/٢) صحيح لغيره.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٣٠٩/٨، خلافة علي، عبد الحميد ص ٣٢٤..

(٤) ينظر مصنف ابن أبي شيبة ٥٦١/٧.

الجيش، وتهيئته للقتال[1]، وأمر أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقولَ لهم: **من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن**، إنَّه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبقَ منهم إلا ألف وتزيد قليلًا على خلاف في الروايات ما بين ألف إلى ألفين مع عبد الله بن وهب الراسبي.

نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقولون: لا حُكمَ إلا لله، الرواحَ الرواحَ إلى الجنَّة، فحملوا على الخيَّالة الذين قدَّمهم علي، ففرَّقوهم حتى أخذت طائفة من الخيَّالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيَّالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقُتِلَ أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد (ص ٣٢٤)، وعلي بن أبي طالب، لمحمد شاكر (ص ٢٣١).

ابن أوفى، وعبد الله بن سخبرة السلمي[1]، وقال أبو أيوب: وطعنتُ رجلًا من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلمُ أينا أولى بها صليا[2].

وقد اعتزلَ كثيرٌ من الخوارج القتال لكلمة سمعوها منِ عبد الله بن وهب الراسبي، كانت تدلُّ عندهم على ضعف الاستبصار والوهن في اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجلًا من الخوارج بسيفه، فقال الخارجي: **حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنَّة أم إلى النار**[3]، فقال رجل من بني سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعي: إنما حضرتُ اغترارًا بهذا وأراه قد شك؟، فانعزل بجماعة من أصحابه، وجعل الناس يتسللون[4]. وقد كانت معركةً حاسمةً وقصيرةً أخذت وقتًا من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٩ / ٢ / ٣٨ هـ، **وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج،**

---

(١) تاريخ الخلافة الراشدة (ص ٤٢٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد، (ص ٢١)، خلافة علي، (ص ٣٢٥).

(٤) المصدر نفسه، (ص ٢١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، (ص ٣٢٥).

وقيل: لم ينجُ منهم أحد، وكان الحال على عكس ذلك تمامًا في جيش أمير المؤمنين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقتلى أصحاب علي لم يتجاوز اثني عشر رجلًا كحدٍّ أقصى كما تذكر الروايات.

خوارج العصر:

من خلال ما تقدَّم من الحديث عن الخوارج وصفاتهم، وما نراه اليوم من تصرُّفات لما يسمى (تنظيم الدولة الإسلاميَّة) والمعروفة اختصارًا بـ (داعش) نجد أنَّ هناك نقاط توافق كثيرة مع الخوارج السابقين، بل يوجد صفات شنيعة إضافيَّة عند خوارج العصر زيادةً على الصفات التي نُعِتَ بها الخوارج.

أهم الصفات المشتركة بين الخوارج السابقين و(تنظيم الدولة):

جاء في وصف الخوارج أنهم:

١ـ (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)، تفكيرهم محدود وبالتالي فهمهم لأصول الدين ومقاصده محدود، فهم يعبدون الله على جَهَالة.

٢ـ أهل غلو وتطرُّف يُكفِّرون أهل القبلة بما يَرونه هم من الذنوب.

٣ـ يقتلون أهلَ الإسلام ويَدَعون أهل الشرك، فكم قتل (الدواعش) من علماء المسلمين في العراق وسوريا، وكم قتلوا من قيادات المجاهدين الأحرار.

٤ـ يُحسنون القول ويسيئون الفعل، فما أجمل الكلام عن الخلافة الإسلاميَّة ووجوب مُبايعة الإمام الذي يَرتضونه، فظاهر القول من صلب ديننا ولكن إعلانهم عن قيام دولة وتنصيب خليفة مجهول الحال مع فقدان أهم مُقوِّمات قيام الدولة من استشارة أهل الحل والعقد، ورضى المسلمين وحيازة الخليفة على أبسط المواصفات التي ذَكَرها علماء السياسة الشرعيَّة للحاكم المسلم يدل على جهل مطبق مع تلبيس وتدليس على الناس بشعاراتهم البرّاقة وأفعالهم المخالفة لادعاءاتهم.

٥ـ أهل عبادة وزهد، وهذا ينطبق على الفئة المغرَّر بها من أفراد (تنظيم الدولة) التي تمَّ تلقينها أفكار الخوارج ومعتقداتهم،

فما ذكرناه من الأمور التي تشترك مع صفات الخوارج يكفي لأن يُعاملوا مُعاملة الخوارج وتُسنَّ فيهم ما سَنَّه أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب والصحابة رضوان الله عليهم فيهم.

الصفات الإضافية الشنيعة عند تنظيم الدولة:

١ـ لقد ثبت بالأدلَّة الواضحة القَاطعة التي لا مِراء فيها أنَّ عددًا كبيرًا من قيادات تنظيم الدولة لهم عَمَالة مع الدول المُعَادية المحاربة للمسلمين السنة في سوريا والعراق وغيرهما.

فكم غَدروا بالمجاهدين وطعنوهم من الخلف أثناء مُواجهتهم مع النظام السوري، كم من المدن والقرى سُلِّمت لهم دون قتال من النظام، أما الخوارج السابقون لم تثبتْ عنهم العمالة لدول مُعَادية.

٢ـ الخوارج السابقون كانت مَصائبهم محصورة في أماكن محدودة من بلاد المسلمين أمَّا خوارج العصر (الدواعش) فأذاهم وفظائعهم من قتلٍ وسفك للدماء، وتفجيرٍ للمساجد، واغتيالات عمَّ دولًا وأقطارًا شتى، مع حيازتهم على أعلى التقنيات الحديثة من السلاح ووسائل الاتصال، هذا عدا عن الأموال الطائلة المتوفرة بين أيديهم، بينما فصائل المجاهدين تَعجِزُ عن تأمين الطعام والشراب لأفرادها! وهذا كلُّه يضع عليهم إشارات استفهام كبيرة جدًّا.

٣ـ الخوارج السابقون لم يُؤثَر عنهم الغدر والخُلْف بالوعد

والكذب بشكل عام إلا في بعض الحوادث النادرة.

أما خوارج العصر فقد اشتهروا بالغدر والكذب والخلف بالوعد.

الحكم على الخوارج:

اختلف العلماء في الحكم على الخوارج إلى قولين:

١ـ **الحكم عليهم بالكفر استنادًا إلى أحاديث المروق المشهورة**، وإلى حديث ذي الخويصرة الذي اعترض على رسول الله ﷺ في قسمته، هذا إذا اعتبرنا أنَّ ذا الخويصرة هو أصل الخوارج، كما ذهب إلى ذلك بعضُ العلماء.

٢ـ **الحكم عليهم بالفِسْق والابتداع** وهو الذي ذهب إليه أكثر العلماء والمُحققين. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: (**المذهب الصحيح المختار** الذي قاله الأكثرون والمحققون: **أن الخوارج لا يُكفَّرون كسائر أهل البدع**) وقال أيضًا: (واعلم أنَّ مذهب أهل الحق أنه لا يكفرُ أحدٌ بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وأنَّ من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حُكم بردَّته وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة أو نحوه مما يخفى عليه فيعرَّف ذلك، فإن استمرَّ

حكم بكفره)[1].

وبعض العلماء فصَّل في ذلك فقال:

قال الشيخ العواجي: (إذا كان بعضُ العلماء يتحرَّج من تكفيرهم؛ فإنه لا يتحرَّج من تكفير بعض الفِرَق منهم، كالبدعية من الخوارج، الذي قَصَروا الصلاة على ركعة في الصباح وركعة في المساء، وكذلك الفرقة التي أجازت نكاح بعض المحارم كبنات البنين، وبنات البنات، وبنات بني الإخوة، طبعًا هذا إن ثبت على فرقة يحكم بكفرها؛ لأنهم أنكروا أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة)[2].

** ** **

(١) شرح النووي على مسلم ١/١٥٠.

(٢) يُنظر كتاب: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، لغالب العواجي.

ما حكم قتال ما يسمى تنظيم الدولة في الشام والعراق

وهل قتال تنظيم الدولة فتنة يجب اعتزالها

١ـ ما المقصود بقتال الفتنة وهل ينطبق على تنظيم الدولة:

وردت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ تدعو إلى اعتزال القتال مع إحدى الفئتين عندما يكون القتال بينهما قتال فتنة، ومن هذه الأحاديث:

قال ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»[1].

وقال أيضًا: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ...**»[2].

لقد دلَّت النصوص على أنَّ **قتال الفتنة هو الذي يكون بين طائفتين كلتيهما على باطل، أو يلتبس أمرُهما فلا يُعلَمُ المحقُّ من المبطل، أو يكون قتالًا على غاية غير مشروعة.**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠١) ومسلم (٢٨٨٦) عن طريق أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٦٨٧٥) ومسلم (٢٨٨٨) عن طريق أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذنْ فليس كلُّ قتالٍ فتنة، فما دام الحق واضحًا لنا، فلابد أن نقف في صف الحق وندافع عنه، كيف وقد جاء الأمر من الله تعالى بقتال البغاة رغم وصفهم بالإيمان فقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩].

أما قتالُ من ظَهر ظُلمُه وعدوانه واعتداؤه على النفس والمال والعرض فهو قتال مَشروع مأمور به.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ [الحجرات: ٩] (في هذه الآية **دليل واضح على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام أو واحد من المسلمين، وعلى فساد قول مَنْ منع مِن قتال المؤمنين** ...) إلى أن قال: (**لو كان الواجب في كلِّ اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل لما أُقيم حدٌّ، ولا أُبطل باطلٌ**، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلًا إلى استحلال ما حَرَّم الله عليهم من أموال وسبي نساء وسفك دماء ...).

كما نقل عن القاضي أبي بكر العربي أنَّه قال: (**هذه الآية**

أصل في قتال المسلمين وعمدة في حرب المتأولين ... ثم قال: وقوله ﷺ في الخوارج: «**يخرجون على خير فرقة، أو على حين فرقة**» والرواية الأولى أصحُّ لقوله ﷺ: «**تقتلهم أَوْلى الطائفتين إلى الحق**» وكان الذي قتلهم علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن معه[1].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في تعقيبه على حديث: «**تكون فتنةٌ القاعد فيها خير من القائم...**»: وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام: **يجب نصر المحق في الفتن والقيام معه بمقاتلة الباغين**، كما قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾. الآية، وهذا هو الصحيح، و **نتأول الأحاديث على من لم يظهر له الحق أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد واستطالَ أهل البغي والمبطلون والله أعلم**[2].

حكم قتال تنظيم الدولة:

إذا كان قتال أهلِ البغي الذين خَرَجوا على الإمام مَشروعًا

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٧).

(٢) شرح النووي على مسلم ١٠/١٨.

ومأمورًا به فكيف بمن سفك الدماء وغَدَرَ بالرجال واستحلَّ الأعراض ألا يكون أولى بالقتال؟!.

وإليك أخي القارئ **استعراضًا سريعًا لما قام به هذا التنظيم من أعمال حتى نصل إلى رأي واضح في حكم قتالهم**:

١ـ اعتدَوا على معصومي الدم بحجَّة وصفهم بالمرتدين لأنهم ليسوا على منهجهم، ولم يبايعوا أميرهم.

فمنذ اليوم الأول من إعلان تنظيم الدولة في العراق ضمَّ الشام إلى دولة العراق الإسلامية المزعومة، قاموا باحتلال ما استطاعوا من المناطق التي حرَّرها الجيش الحرّ من أيدي النظام السوري.

وأخذ أمراؤهم وقادتهم يتعاملون مع الناس في البلاد التي يسيطرون عليها على أنَّهم الدولة الحاكمة التي يجبُ على الجميع الخضوع لحكمها وقراراتها.

وأظهروا الغلوَّ في التكفير، وذلك حتى يتخلصوا من كلِّ من لا يُوافقهم في أفكارهم وتصرفاتهم لجأوا إلى تكفير من سواهم من المُجَاهدين والعلماء والسياسيين، ثم سفكوا دماءَهم

واستحلُّوا أخذ أموالهم، وباغتوا المجاهدين من الخلف ليشغلوهم عن مُقَارعة النظام السوري، ثم نشروا الحواجز في الأماكن التي سيطروا عليها وضيَّقوا على الناس مَعَاشهم وامتحنوهم في عقائدهم ودينهم، فأشاعوا الخوفَ والرعب بينهم.

وبناءً على هذه الأفعال التي قاموا بها فقد صدرَ عددٌ من الفتاوى والبيانات من الهيئات والشخصيات العلميَّة الموثوق بها بوجوب قتالهم وصدِّ صيالهم ما داموا على هذه الحال، فمن حقِّ المعتدى عليه أن يُدافع عن نفسه، ومن حقِّ المجاهدين أنْ يُقاتلوا الفئات التي تَطعنهم من الخلف لتشغلهم عن عَدوِّهم الحقيقي، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقال ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دونَ ماله فهو شَهيد، ومن قُتِل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِل دون أهله فهو شهيد**»[١].

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٢) والترمذي (١٤٢١) عن طريق سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال حديث حسن صحيح.

٢ـ تعتبر هذه الفئة فئة باغية، والباغي يجب قتاله:

فكيف بمن جمع بين البغي والغلو والتكفير واستحلال دماء المسلمين بغير حق، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ...﴾ [الحجرات: ٩].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: (في هذه الآية دليلٌ على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام، أو على أحدٍ من المسلمين)[١].

٣ـ عدم انقيادهم للحق ورفضهم التحاكم إلى المحاكم الشرعية:

في ظل الوضع الاستثنائي الذي تَعيشه سوريا، وغياب السلطة التي تُوطِّد دعائم الأمن والاستقرار، تعاهدت الفصائل العسكرية في كثير من المناطق المحررة على أن يُحَكِّموا في خلافاتهم مَحْكَمةً شرعية تفصل بينهم، ومما عرف عن **تنظيم** الدولة (داعش) **أنهم دُعُوا مِرارًا للتحاكم إلى المحاكم الشرعية المستقلَّة فأَبَوا وامتنعوا،** بل ربما استجابوا ظاهرًا ثم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٧/١٦).

توعَّدوا وغدروا **مما أدى إلى تعطيل الحكم في الدماء والمنازعات التي جَرَت بينهم وبين بقيَّة الفصائل فهم لا يَعترفون إلا بجماعتهم، ولا يتحاكمون إلا إلى محاكمهم وينطبق عليهم القول: (أنت الخصم وأنت الحكم).**

وقد نَعَى اللهُ تعالى على الذين يُعرضون عن قبول الاحتكام إلى شرع الله تعالى فقال: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨ ـ ٤٩].

ثم قال مُبينًا صفة أهل الإيمان في الانصياع للتحاكم إلى شرع الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

٤ـ مُشَابهة كثير من أفعالهم لأفعال الخوارج الأولين: الذين أمرَ النبي ﷺ بقتالهم، فقد اجتمع في هؤلاء من صفات الخوارج **من تكفير المخالفين لهم، وقتلِ أهل الإسلام، مع المكابرة وردِّ الحق ما يجعلهم يُلحَقون بهم حُكمًا**، بل قد فَاقُوهم في صفات الغدرِ والخيانة، ونَقْضِ العُهود وتضييع الأمانات.

قال ﷺ: «**ومن خرج على أمتي يضرب بَرَّها وفاجرها ولا يتحاشى من مُؤمنها ولا يفي لذي عهدٍ عهدهُ فليس منِّي ولستُ منه**»[1]

وقال: «سيخرج في آخر الزمان قومٌ **أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام**، يقولون من خير قول البرية **يَقْرؤون** القرآن لا يُجاوزُ حَنَاجرهم، يَمْرُقون من الدين كما يمرقُ السهمُ من الرَّمِيَّة، **فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**»[2].

وقال فيهم: «يَقتُلون أهلَ الإسلام ويَدَعُون أهلَ الأوثان، لئن أنا أدركتُهُم لأقتُلَنَّهم قتلَ عادٍ» مُتفق عليه.

بل إنَّه ﷺ **عدَّ قتلاهم شرَّ القتلى، واعتبر قتلى المسلمين على** أيديهم خير القتلى، فقال: «**طُوبى لمن قتلهُم وقتلُوهُ، يدعُونَ إلى كتابِ الله وليسوا منه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم**»[3].

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦) عن طريق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣)أخرجه أبو داود (٤٧٦٥) عن طريق أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح.

وقال: «**شرُّ قتلى قُتِلوا تحت أديمِ السماء، وخيرُ قتيلٍ مَنْ قَتَلُوا**»[1].

قد يسألُ سائلٌ فيقول: إنَّهم أهل عبادة وجهاد فكيف نُقاتلهم؟

فنجيبُ: قد أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفات الخوارج وأخبرنا بأنهم أهل عبادة، بل إنَّ عبادتهم في الظاهر ربما تفوق عبادة الصحابة الأطهار، وهذا الإخبار منه ﷺ حتى لا نغترَّ بهم، ومن ذلك قوله ﷺ: «**يحقرُ أحدُكُمْ صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم**»[2].

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في وصفهم: «فدخلت على قوم لم أرَ قومًا قطُّ أشدَّ اجتهادًا منهم، أيديهم كأنَّها ثفِنُ الإبل ـ أي: ركبها الغليظة ـ ووجوههم معلمة من آثار السجود»[3].

فمع شدَّة عبادتهم وتقواهم إلا أنَّهم وقعوا في بدعة مُنكرة

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٦) عن طريق أبي أمامة، وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤). عن طريق أبي سعيد الخدري.

(٣)رواه عبد الرزاق في المصنف (١٨٦٧٨)، والمستدرك (٢٦٥٥) صحيح على شرط مسلم.

استحلّوا بها الدماء والأموال.

كيف نتعاملُ مع ما يسمى (تنظيم الدولة الإسلامية):

بالرغم من كلِّ ما قامَ به الخوارج الذين خَرجوا على سيدنا عليِّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ مِنْ قتلٍ لعدد من معصومي الدم، (ذبح عبد الله بن خباب... وبقر بطن زوجته)، وتكفيرهم عددًا من أصحاب رسول الله ﷺ الذين حذَّر رسول الله ﷺ من المساس بهم أو الإساءة إليهم ولو بكلمة حيث قال: «**اللّهَ اللّهَ في أصحابي مَنْ آذاهم فقد آذاني ومَنْ آذاني قد آذى الله**»[1].

ومع كلّ هذا لم يلجأ الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ إلى **قتالهم مُباشرة بل حَاوَرَهم بنفسه ثم أرسلَ إليهم من يُحاورهم، وكان من نَتيجة الحوار أن اعترف عددٌ كبير منهم بخطئهم، ورجعوا عن ضَلالاتهم، ومن لم يستجبْ منهم قَاتله.**

ونحن اليوم أمامَ هذا التنظيم الذي ظهر لنا على حين غِرَّة، والذي جمع أهم صفات الخوارج الذين ظهروا في عهد الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ **لابدَّ أن نتعامل معهم كما تعاملَ الإمامُ علي** رَضِيَٱللَّهُعَنهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٥٧٨) والترمذي (٣٨٦٢) من طريق عبد الله بن مغفل، وهو حديث ضعيف.

بأن نحاور البسطاء والمغرر فيهم الذين حملوا فكر الخوارج جراء الظلم الذي يرونه واقعًا على المسلمين ظنًّا منهم أنه الطريق للقضاء على الظلم والظالمين، ولكن لابد أن يكون معلومًا لدينا بأنَّ هذا التنظيم مُخترقٌ أمنيًا من قبل أعدائنا على مُستوى القيادات العُليا فيه، وقد ثبت ذلك بالأدلَّة الواضحة التي لا شكَّ فيها والأدلة على ذلك أكثر من أن تُحصر. ونذكر على سبيل المثال:

سقوط الموصل ومدن أخرى عام ٢٠١٤م في العراق، بأيدي داعش من دون أي مُقاومة من الجيشِ العراقي الذي كان قَوامه بالآلاف المؤلَّفة وكذلك استيلاؤهم على مَخَازن كبيرة من الأسلحة، وكان ذلك في عهد نوري المالكي ابن حزب الدعوة الرافضي وذراع إيران في العراق.

أضف إلى استيلائهم على المدن التي يُحرِّرها المجاهدون في سوريا بشكل واضح وذلك على حين غِرَّة من المجاهدين، وكذلك يلاحظ عليهم أنَّه كلما أراد المجاهدون أن يَقوموا بمعركة ضدَّ جيش النظام السوري وإذ بداعش تَفتعل معركةً معهم لتشغلهم عن قتال النظام السوري.

وكذلك اعتداءاتهم المُتكرِّرة على النُخَب من قيادات

المجاهدين والعلماء الذين لم يَستطع النظام السوري الوصول إليهم خلال ما يزيد على أربع سنوات من بداية الثورة السورية، وإنّ فتح ملف هذا التنظيم يحتاج مؤلفات لسنا بصدد الحديث عنه، وستكشف الأيام القادمة عمالته وتركيبته التي أعيت المفكرين والسياسيين.

ـ كما أنّهم كانوا سببًا رئيسًا في إعادة تأجيج حملات السخرية والتشويه التي يقوم بها الغرب ضد الإسلام والمسلمين، هذه الحملات التي تجاوزت (داعش) لتمسّ مبادئ الإسلام نفسه، وتمسّ الثقافة الإسلامية، بل وصل الأمر في بعض الحالات إلى السخرية من عقول البشر بنشر أكاذيب في كبريات الصحف العالمية، لترددها بعد ذلك كبرى القنوات الفضائية، من هذه الأكاذيب «أنّ داعش هددت بروفيسور في كليّة الطب بالجلد إن لم يتزوج تلميذته التي وجد مختليًا معها يصحح لها عملاً مدرسيًّا، فعدّت داعش ذلك خلوة بأجنبيّة، فإمّا أن يتزوجها وإلا جلد، فلما رفض الزواج منها جلد»[1] طبعًا من البدهي أنّ هذه القصة مفبركة، ولكنّها طريقة خبيثة للطعن

(١) انظر كتاب داعش للسفير عبد الله حمد الأزرق ص٢٢٣.

بالإسلام وأحكامه بطريقة غير مباشرة، وكلّ هذا نتاج ممارسات (داعش) الخاطئة وغير محسوبة العواقب.

ونعود إلى الحوار فنقول: ينبغي أن يكون مع الشباب المغرر بهم الذين دخلوا هذا التنظيم حبًّا في الجهاد في سبيل الله تعالى وليس لديهم خلفية عن هذا التنظيم الذي قامت قيادته بغسل أدمغتهم وحشوها بالأفكار التكفيرية التي سرعان ما يستجيبُ لها الشباب الذي يَعيش حالةً من الاحتقان، وهو يرى دولَ الشر تتآمر على الإسلام والمسلمين.

فهؤلاء لابدَّ من حوارهم حوارًا هادئًا نُشْعِرهم من خلاله حرصنا على سلامة دينهم وعقيدتهم وجهادهم، كما أنه لابدَّ من العمل على تحصين شبابنا قبل أن ينجرُّوا إلى هذا الفكر المنحرف.

وقد سبقَ أن تحدَّثنا عن مُناظرة الإمام علي بن أبي طالب، والصحابي الجليل عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مع الخوارج التي تؤكد أن طريق الحوار ينبغي أن لا يُغلق.

التكفير

مخاطره وضوابطه

إنَّ من الأمور الخطيرة التي زلَّت بها أقدامٌ، وأريقت بسببها دِماء، وأُزهقت أرواح مسألة التسرُّع في تكفير المسلمين، ثم العمل على تنفيذ أحكام الردَّة على من تسرعوا في تكفيره دون دليل واضح من الكتاب والسنة.

وقد حذَّر النبي ﷺ من الوقوع في هذا المستنقعِ، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»[1].

ولخطورة هذه المسألة لابد من تجلية مخاطرها وأسبابها، وحكمها، وضوابطها وموانعها:

١ـ تعريف بالتكفير:

التكفير نسبة الشخص إلى الكفر وينقسم التكفير إلى **قسمين**:

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأول: الحكم بكفر الكفار الأصليين: مثل اليهود، والنصارى، والوثنيين...، وهؤلاء قد حكم القرآن بكفرهم في عدد من المواضع، ويُقاس عليهم الوجوديون الذين ينكرون وجود الله تعالى الذين يقولون لا إله والحياة مادة.

الثاني: **الحكم بخروج شخص مُعيَّن من الإسلام**، أي: الحكم بردَّته ثم تطبيق أحكام الردَّة عليه، **وهذا القسم هو محلُّ بحثنا.**

مخاطر الفكر التكفيري:

إنَّ التسرع في إصدار أحكام التكفير على المسلمين أمر في غاية الخطورة، وإنَّ الفئة التي تنتهج هذا النهج **تضرّ بدينها ودنياها وآخرتها**، كما تلحق الضرر والبلاء بالمجتمع.

أما أثره الديني على المتسرِّع:

١ـ فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد **باء بها أحدهما**، فإن كانت كما قال وإلا رجعت عليه» متفق عليه.

فمن رمى مسلمًا بالكفر يُنظر إن كان المرميُّ بالكفر فعلًا كافرًا فقد وقع الكلام في مَحله، وإن لم يكن كذلك رجعت عليه

نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره[1].

إنَّه أمر خطير وعظيم: كلمة يتوجه بها إنسان لأخيه لا يُلقي لها بالًا ربما توقعه في الكفر والعياذ بالله تعالى. قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

٢ـ إن مما يترتَّب على تكفير المسلم والحكم عليه بالردَّة **أن يحبط عمله ويصبحَ حلال الدم بعد أن كان معصوم الدم** ويعامل مُعاملة الكافر حيث يفرق بينه وبين زوجته، ولا يغسل ولا يكفَّن ولا يصلى عليه، ولا يُدفن في مَقَابر المسلمين قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٣ـ إنَّ التسرُّع في تكفير المسلمين دون ضَوابط يؤدي إلى تشويه صورة المسلمين مما يحول دون نشر الدعوة إلى الله تعالى، ويحول دون دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، لذلك نجد أعداء الإسلام يُحاولون أن يُغَذّوا هذا الفكر التكفيري، وذلك ليُشوِّهوا صورةَ الإسلام النقيَّة.

---

(١) ينظر شرح النووي (٥٠/٢).

٤ـ ومن مخاطره أنَّه يُمزِّق المجتمع، ويُغذِّي نارَ الفتنة والخلاف بين أبنائه فيصبح المجتمع فريقين، فَريق مُؤيد ومُناصر لفئة الغلاة من التكفيريين، ويتربَّص بالآخرين الدوائر، وفريق مُعادٍ للفكر التكفيري.

٥ـ إنَّ انشغال المجاهدين بهذه الفئة يؤدي إلى انشغالهم عن قتال عدوِّهم الحقيقي كما هو حال الفصائل اليوم في سوريا مع ما يسمى (تنظيم الدولة الإسلامية)، وقد عانى السوريون **السُّنة من هذا التنظيم أكثر مما عانوه من نظام الأسد المجرم**؛ لأن أولئك تلبَّسوا بلباس الإسلام والدفاع عنه، وغَدَروا بالمجاهدين والعلماء فأصابوا منهم ما لم يستطعْ عدوُّهم الوصول إليه.

أهم أسباب ظهور الفكر التكفيري:

١ـ الظلم والاضطهاد الذي يتعرَّض له المسلمون، وخاصَّة من الحكام الظالمين الذين كبتوا حريَّة شعوبهم وسفكوا دِماءهم واستحلُّوا حُرُماتِهم، بالإضافة إلى الظلم من حكومات المجتمع الدولي الذين سكتوا عن إجرام الحكَّام، بل وساندوهم في الباطن، وادَّعوا في الظاهر زورًا وبهتانًا أنَّهم أصدقاء الشعوب المظلومة.

٢ـ التصدي للفتوى والتوجيه من أشخاص ليس عندهم

كفاءة علميَّة، ولا خبرة لهم بالتأصيل الفقهي، ولا بفقه المقاصد، وصدق عليهم قول الرسول ﷺ: «**حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام**»[1].

هذا عدا عن تصدي زعمائهم للأمور العامَّة، مثل إعلان الخلافة وتنصيب خليفة للمسلمين تحت لقب (أمير المؤمنين)، وإلزام الناس بمبايعته، والسمع والطاعة له مع أنَّه مَجهول الاسم الحقيقي والرسم والعلم.

٣ـ تباطؤ العلماء الثقات في القيام بواجبهم في المجتمع وأخذ زمام المبادرة في التصدي لتوعية الناس في أمور دينهم والتحذير من الفكر المتطرف الذي هو بلاء مُستطير على الأمَّة الإسلاميَّة.

٤ـ قيام أعداء الإسلام بشكل عام وتنظيم الدولة بشكل خَاص بتشويه صورة العلماء الثقات عند الناس، واتهامهم بالقعود والتخاذل، مما أدَّى إلى وجود فجوة بين العلماء والشباب.

٥ـ الاختراق الخطير لتنظيمات أصحاب الفكر التكفيري من قبل أعداء الإسلام مما أتاحَ الفرصة لهؤلاء الأعداء أن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١) عن طريق علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يستخدموا البسطاء والسُّذَّج ممن تم غسل أدمغتهم من الفكر الوسطي وحشوها بالفكر التكفيري.

ضوابط الحكم على مسلم بالكفر:

نظرًا لخطورة الحكم بالتكفير على شخص ما، أو فئة ما، فإنَّ علماء الأمة الثقات وضعوا لذلك ضوابط أذكرها باختصار:

١ـ ثبوت أن القول، أو الفعل، أو الترك، أو الاعتقاد الصادر من الشخص بالأدلة الواضحة بأن ما قاله أو فعله أو اعتقده هو كفر صريح لا لَبْس فيه.

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: (إنَّ الذي يُحْكَم عليه بالكفر مَن كان الكفرُ صريح قوله، وكذا من كان لازم قوله وعُرض عليه فالتزمه).

٢ـ ثبوت صدور ذلك القول أو الفعل أو الاعتقاد المُكَفِّر عن ذلك الشخص الذي يحكم بكفره، فلا يصحُّ أن نَبني على الظنِّ، أو الشبهة فلا بدَّ من الأدلة الواضحة المعروفة في القضاء.

٣ـ العلم: فلا يُحكم على شخص بالكفر ولو توفر فيه الشرطان السابقان إلا إذا تأكَّدنا من أنَّه عالم بأنَّ القول أو الفعل أو الاعتقاد الذي صدر منه كفر يخرج من ملَّة الإسلام،

أما إن كان جاهلًا لا بدَّ من تعليمه وتعريفه بنواقض الإسلام قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

فهذا النص القرآني، وكثير من النصوص تؤكِّد بأنَّ الله تعالى لا يُؤاخذ عِباده إلا أن تقوم عليهم الحجَّة، ويعلموا الحق والصواب.

موانع التكفير:

ولخطورة تكفير المسلم حتى لو تحققت فيه الشروط السابقة فإنه لا يحكم عليه بالكفر إذا تبين:

١ـ أنَّ ما صدر منه كان خطأً غير مقصود، عَنِ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»[1].

٢ـ أن ما صدر عنه كان عن جهل، وقد سبق الإشارة إلى ذلك في الشرط الثالث من شروط التكفير (العلم).

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٨٠١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

٣ـ إن كان ما صدر عنه بطريق الإكراه، قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦].

٤ـ التأويل: ربما يصدر عن شخص كلام ظاهره الكفر ولكنه يحتمل وجوهًا عدَّة بعضها يمنع من التكفير، فنحمله على المعنى الذي لا يُوقع في التكفير حتى لو كان المعنى ضعيفًا وما ذاك إلا لخطورة التكفير إلا إذا صرَّح الشخص باختياره للمعنى الكفري الصريح الذي لا التباس فيه.

طبعًا لا يُلتفت إلى تأويلات الفِرَق الباطنيَّة الضالَّة التي تتخذ من التقيَّة دينًا ومَذهبًا.

مسائل تتعلق بالتكفير:

التفريق بين تكفير المعين وتكفير المطلق، أو نقول التفريق بين القول وبين قائله بمعنى: أن نقول هذا القول كفر، ولكن إذا قيل لنا فلان قال هذا القول المكفر فلا يصح أن نحكم عليه بالكفر حتى تقام عليه الحُجَّة وتنطبق عليه شروط التكفير، وتنتفي عنه موانع التكفير.

فليس كُلُّ مَنْ تلبس بشيء من مَظَاهر الكفر يكون كافرًا بالضرورة، فلا بدَّ من التفريق بين الحكم على القول أو الفعل الظاهر بأنه كفر مُتعلق ببيان الحكم الشرعي مُطلقًا، أما القائل أو الفاعل المعيَّن لا بد من إقامة الحجَّة عليه.

حكم من لم يُكفِّر الكافر:

ما القول في القاعدة التي تقول: (من لم يُكفِّر الكافر، أو شكَّ في كفره، أو صحَّح مذهبه فهو كافر).

هذه القاعدة صحيحة في حال تطبيقها على الكفار المقطوع بكفرهم، مثل:

ـ **الكفار الأصليون**: من عُرِف بكفره وإلحاده ومات عليه مثال: أبو جهل وأبو لهب، ولينين، ماركس، ستالين ...

ـ **أصحاب الديانات المنسوخة والكفار** الذين صرَّح القرآن الكريم بكفرهم مثل: اليهود ـ النصارى ـ المجوس ـ عبدة الأوثان ـ المشركون.

ـ **أتباع العقائد الباطنية** مثل: النصيريَّة، الذين قالوا بألوهية سيدنا علي بن أبي طالب، فقالوا عنه: إلٰه في الباطن، إمام في الظاهر.

- **أتباع المذاهب الهدَّامة** التي تنكرُ وجود الله تعالى، مثل الشيوعيَّة التي يقول أتباعها (لا إله والحياة مادَّة).

الفِرَق الضالة التي كان للاستعمار دور كبير في تغذية أفكارها ومعتقداتها فمنها من ادَّعى ظهور نبي بعد رسول الله ﷺ، ومنها من ادَّعى وجود كتاب مُقدَّس غير القرآن الكريم، وأمثال ذلك القاديانية ويطلق عليها أيضًا: (الأحمدية) وكذلك البابية والبهائية.

وكذلك **يُحكم بكفر من أنكر أمرًا مَعلومًا من الدين بالضرورة** ونضرب على ذلك بعض الأمثلة:

- **من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه.**

- **من اعتقد أن حكم غير النبي ﷺ أفضل من حكمه**، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

- **من أبغض شيئًا مما جاء به رسول الله ﷺ** قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٩].

ـ **من استهزأ بشيء من دين الله تعالى** أو ثوابه أو عقابه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

ـ **من أضاف إلى نبينا محمد ﷺ تعمُّد الكذب**، أو شكَّ في صدقه، أو استخفَّ بأحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو آراءهم[١].

٢ـ الغلو والتشدد:

قال تعالى مُخاطبًا أهلَ الكتاب: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

الغلو: مُجاوزة حدِّ ما شرعه الله تعالى، وشرعه رسوله ﷺ باعتقاد أو قول أو فعل[٢].

إنَّ الغلو والتشدُّد في الدين افتئات على دين الله، وافتئات على المنهج الذي رسمه لنا رسولُ الله ﷺ.

وإنَّ الله تعالى لا يقبل من العبادة إلا ما كان صوابًا مُوافقًا

---

(١) انظر كتاب الشفاء الجزء الثاني للقاضي عياش ٣٣/٢ ـ ٤٠٣ ففيه تفصيل.

(٢) كتاب الخوارج، د. بلال علوان.

لكتاب الله تعالى وسنة نبيِّه ﷺ، وما كان أيضًا خالصًا لوجهه الكريم.

دليل ذلك **رفض رسول الله ﷺ منهجَ الأشخاص الثلاثة الذين أراد كلُّ واحد منهم أن يؤدي عبادةً أكثر من رسول الله** ﷺ اجتهادًا منهم أن هذا يُقرِّبهم إلى الله تعالى أكثر، وأنَّ الرسول ﷺ قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فقال لهم المعلِّم والمربي ﷺ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1].

ولقد ميَّز الله أمَّة الإسلام على بقيَّة الأمم بأن جعلها **أمة وسطًا** بين الأمم كلها فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهي الأمَّة الوسط بكل مَعَاني الوسطيَّة سواءً بمعنى **الحُسْنِ والفضل**، أو بمعنى **الاعتدال والقصد**، أو **في التصوُّر والاعتقاد**، فلا غلوَّ في الروح، ولا ارتكاس في المادة.

أمَّة وسط **تشهد على الناس جميعًا** تقيم بينهم العدل

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والقِسْط، وتضع لهم الموازين والقيم وتبدي رأيها فيكون رأيها هو المعتمد.

أمة تلك وَظيفتها، وذلك دورها جديرة بأن تتحمَّل التبعة وتبذل التضحية[1].

وقد نعى رسولُ الله ﷺ على المتشدِّدين والمغالين، فقال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[2]. والتنطُّع: التعمُّق والتشدُّد في غير موضعه.

ولعل الحكمة في النهي عن الغُلو لما لَهُ من آثار سلبيَّة على المجتمع حيث تضيع بسببه كثير من الحقوق والواجبات على حساب حقوق وواجبات أخرى. فمنهج الإسلام منهج الاعتدال والتوازن ووضع الأمور في نصابها، ومن الأدلَّة على ذلك: ما نصحَ به سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخاه أبا الدرداء فقال له: «**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**»، فَأَتَى أبو الدرداء النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»[3].

---

(١) اقتباس من ظلال القرآن ١٣٠/٢ و١٣١ و١٣٢.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٨) عن أبي جحيفة.

ملحق

مفهوم الإرهاب في الإسلام

ومفهومه عند الغرب والدول المعادية للمسلمين

ما من وسيلة إعلاميَّة اليوم (قنوات فضائية ـ جرائد ـ مجلات ـ وسائل الاتصال الاجتماعي) إلا **وتتحدث عن مَخَاطر الإرهاب وضرورة مُحَاربته** وما أن تمَّ تصنيع عدو يمكن أن تلصق بهم تُهم الإرهاب إلا وتنادت الدول الكبرى على رأسها أمريكا إلى إنشاء تحالف يضمُّ عشرات الدول لإعلان الحرب على (البعبع) المصطنع وهو (**تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام**).

ولكن يا ترى هل فعلًا هي حرب على الإرهاب؟ وهل المقصود هو القضاء على هذا التنظيم الإرهابي الذين أعلنوا الحرب عليه؟.

أم أنَّ هذا التنظيم اتخذته الدول الكبرى تُكأةً وحُجةً

تستطيع من خلاله أن تعلن الحرب على من شاءت، وكيف شاءت، ومتى شاءت، وإلصاق تهمة الإرهاب جاهزة ومفصلة على مقاس من يريدون أن يلبسوه إياها.

يقول أحد المتخصصين في بحث عن الإرهاب (قلّما استُعْمِلت كلمة أو أُسيء استعمالها أو استعملت على نحو تعسُّفي أكثر من كلمة الإرهاب) وقد تمَّ تسجيل (٥٨٣١) مُؤلفًا عن الإرهاب حتى نهاية ١٩٨٧م ومن تلك الكتب ما كتبه تشومسكي باسم (حضارة الإرهاب) وهو المتخصص في فضح ظاهرة الإرهاب في السياسة الأمريكية، وخاصة ممارستها في أمريكا اللاتينية)[1].

ما هو تعريف الإرهاب في الاصطلاح الحديث:

رغم ما ذكر من تعاريف عن الإرهاب، تبقى كلُّ التعاريف مطاطة عائمة، يتم تفسيرها حسب من يريد أن يتهم بها الآخرين لأن دافعها غالبًا سياسي عدواني ومع ذلك نذكر تعريفين للإرهاب:

---

(١) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب للدكتور محمد عبد الله السلومي ص٩٥.

الأول: تعريف الموسوعة العربية:

الإرهاب هو: استخدام العنف أو التهديد به لإثارة الخوف والذعر، ويعمل الإرهابيون على قتل الناس، أو اختطافهم، كما يقومون بتفجير القنابل، أو اختطاف الطائرات، وإشعال النيران، وارتكاب غير ذلك من الجرائم الخطيرة، كما أن معظم الإرهابيين يرتكبون جرائمهم لدعم أهداف سياسية [(١)].

الثاني: تعريف المجمع الفقهي الإسلامي: الإرهاب هو: العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيًا على الإنسان دينه، دمه، ماله، عقله، عرضه، أو يشمل التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق[(٢)].

مفهوم الإرهاب في الإسلام:

إرهاب مشروع: قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. المقصود به إرهاب أعداء الإسلام وأعداء الأمة،

---

(١) المصدر السابق نقلًا عن كتاب الموسوعة العربية ٥٥٨/١.

(٢) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب تاريخ إصدار التعريف ١٤٢١/١٠/١٥ هـ الموافق ٢٠٠١/١/١٠م.

وإعداد القوة لقتالهم.

من هذا الباب يجب على المسلمين أن تكون لهم قوة يحمون بها الحق الذي يحملونه، فلابد للحق من قوة تحميه، ومن أجل هذا كانت الدعوة في كتاب الله تعالى إلى القيام بهذا الواجب بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومن هذا الباب كان الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام.

أما **الإرهاب غير المشروع**: هو الذي يروِّع الآمنين ويَعتدي على المسالمين، فهذا الذي ينكره شرعنا سواء كان للمسلمين أو لغيرهم، ومن ذلك قوله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»[١]. قال ذلك لشخص أخذ نعل شخص مداعبًا له، فانتبه صاحب النعل فَزِعًا، فقال له ﷺ: «**لا يحل...**».

وقال تعالى مؤكدًا على البر والقسط مع غير المسلمين ممن لم يعلن الحرب علينا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

---

(١) رواه أحمد (٢٣١١٤).

كما نهى عن قتل المرأة والطفل والشيخ والراهب في الحرب، **فالإسلام دين الرحمة والرأفة** وقد كان ﷺ إذا بعث جيشًا أوصاه بوصايا منها: «**لا تغدروا، ولا تغلُّوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الأولاد، ولا أصحاب الصوامع**»[1].

فالإسلام يدين العنف والتطرف الذي يقوم به بعض الأشخاص أو التنظيمات باسم الإسلام والإسلام منها بريء، فما هو العنف؟.

العنف: استخدام فئة القوة المادية في غير موضعها ومن غير ضابط من خلق أو شرع أو قانون.

والغريب أن **الدول الكبرى المهيمنة على العالم اليوم تدين عنف الأشخاص، أو بعض الجهات التي إذا قُورن عُنفها بعنف أوليائهم من اليهود والنصارى والباطنيين** لا يقارن، فمثلًا ما قامت به الصهيونية من سلب الأرض من أهلها، وسفك الدماء وتدمير المنازل، وإحراق المنازل لا يُعدُّ إرهابًا في نظرهم.

وما يقوم به **الشيعة الروافض من حَرْبٍ على المسلمين السنَّة** لا يَعدُّونه إرهابًا، ودمار بلد بكامله وتهجير أهله وقتل أبنائه

(١) أخرجه أحمد (٢٧٢٨).

وتدمير مساجده ومدارسه كما هو الحال في سوريا لا يعدونه إرهابًا أو عنفًا، أما من قام ليدافع عن بلده ويثأر لدينه وعرضه، صار إرهابيًّا في عُرف زعامات المجتمع الدولي الذي يَكيل بمكيالين.

إننا نعيش اليوم في عالم أشبه بالغابة الكبيرة التي يَفترس فيها القوي الضعيف بل إنَّ وحوش الغابات أضحت اليوم أرحم من الوحوش البشرية، فهذه إيران وروسيا تدك الشعب السوري البريء بالصواريخ والبراميل المتفجرة والمجتمع الدولي صامت لا يحرك ساكنًا بل لا يعتبرون كل هذا الإجرام إرهابًا وإذا تكلموا أو أدانوا ساووا بين الضحية والجلاد ودعوا إلى الجلوس على طاولة المفاوضات والحل السلمي، وصدق قول الله تعالى فيهم: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ٨].

ما هو الهدف من إعلان المجتمع الدولي الحرب على الإرهاب اليوم:

إنَّ مَنْ يستعرض ما كتبه الغرب عن الإرهاب، وكيف يتمُّ استعمال هذه الكلمة **بمثابة عصا تلوح بها الدول الكبرى**، يجد أن المقصود منها بشكل واضح وصارخ هو **الحرب على الإسلام**

والمسلمين المعتدلين بأسلوب برَّاق وأسباب مزيفة.

والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى من ذلك ما قاله الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن بأن الحرب على الإرهاب هو معركة الخير ضد الشر ثم قال هو: (مهمة إلهية). وكذلك ما صرح به راعي الكنيسة الأرثوذكسية بأن العدوان السافر الصارخ على الشعب السوري الذي بدأ في ٢٠١٥/٩/٣٠هو: **(حرب مقدسة)** كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وحتى لا أطيل عليك أخي القارئ، أنقل لك شهادة بعض المنصفين من البريطانيين والأمريكيين الذين يؤكدون هذه الحقيقة:

يقول عضو الكونجرس الأمريكي السابق بول فندي في كتابه **(لا سكوت بعد اليوم)** في الفصل السادس (الإرهاب والافتراء) أعرف أن نشر التخطيطات المزيفة يمكن أن يخدم المصالح المتعصبة ثم يقول: لكن الإسلام وحدَه بين الأديان الأخرى يُربط في الأخبار والتقارير والمقالات بالعنف باستمرار في حين أنه **نادرًا ما تُذكر ديانة الفاعلين عندما تُرتكب أعمال مروعة على أيدي أناس ينتمون إلى ديانات أخرى، فالتقارير**

الإخبارية لم تُشر إطلاقًا إلى المذابح المرتكبة ضد (ألبان كوسوفا) بأنها أعمال ارتكبها الصرب الأرثوذكس (ضد المسلمين)؛ وأن البورميين (المسلمين) يقتلون بأيدي البوذيين!.

وأنَّ **الفلسطينيين يُقتلون بأيدي اليهود! فالجناة يُحَدَّدُون روتينيًا بهويتهم القومية، وليس بانتماءاتهم الدينية إلا عندما يكونوا مسلمين**، إذ لا ينظر إلى مرتكبي العنف المسيحي بأنهم يُشوِّهون سمعة المسيحية، ولكن إذا ارتكب مُسلم إثمًا فإنَّ هذا الإثم يصور كعنصر من عناصر الخطر الإسلامي الداهم على أمريكا.

هذه الازدواجية في التعامل هي التي تعزز أخبث تنميط للإسلام وأوسعه انتشارًا ألا وهو ربط المسلمين بالإرهاب[١].

ضحايا الحرب على الإرهاب:

مما يؤكِّد ما ذكرنا بأنَّ الحربَ على الإرهاب لا يقصد به إلا المسلمون، ولا يقصد بها إلا تشويه صورة المسلمين، ولذلك **نجد أنَّه بحجَّة الحرب على الإرهاب** تم ما يلي:

---

(١) كتاب (لا سكوت بعد اليوم) للكاتب الأمريكي بول فندي الفصل السادس.

ـ تم تشريد عشرات الملايين من أبناء الشعوب المستضعفة إلى مخيمات وملاجئ لا تصلح ربما للحيوانات كما هو الحال في كشمير، أفغانستان، البوسنة، فلسطين، العراق، سوريا، بورما... **كلها دول إسلامية!!!**

ـ خلفت الحرب المزعومة على الإرهاب **مئات الآلاف بل الملايين من الإعاقات والأمراض المستعصية.**

ـ مئات المليارات تصرف على حروب مفتعلة بحجة محاربة الإرهاب بدلًا من معالجة الفقر فلا تهتم الدول المدعية للديمقراطية أن يُقتل الملايين.

ولكن المهم أيضًا أن يبيعوا الأسلحة ولو كان في ذلك دمار دول وقتل الملايين فالغاية تبرر الوسيلة عندهم.

ـ محاصرة المؤسسات الخيرية الإسلامية في العالم لتجفيف مصادر التمويل المالية التي يُغاث بها المسلمون في العالم حيث يقول د. محمد السلومي:

كتبت صحيفة: (وول ستريت جورنال الأمريكية) مقالًا طويلًا عن المؤسسات الخيرية تحت عنوان: التحركات الأمريكية لمحاصرة المؤسسات الخيرية الإسلامية ومما قالته

الصحيفة: (**إن العديد من المؤسسات الخيرية الإسلامية التي لها عمليات في المملكة العربية السعودية وباكستان والكويت، تخضع لتحقيقات وتحريات حول إمكانية وجود صلات لها مع المجموعات الإرهابية**).

وباختصار تم وضع قائمة طويلة من الجمعيات الخيرية لتجميد أصولها رغم أن كلَّ التحقيقات لم تستطع أن تثبت شيئًا من التهم الموجهة لها. ولكنها الحرب على المصلحين والخيرين.

-متابعة مدارس التعليم الديني ومحاولة إغلاقها:

ذكرت صحيفة الوطن القطرية أن الولايات المتحدة طلبت إلغاء مناهج التعليم الديني في الوطن العربي مشيرة إلى أن الطلب الأمريكي يُدرس بعناية وجدية في أغلب الدول العربية، وكشفت الصحيفة النقاب عن دراسة أمريكية مطولة قالت: **إنها وصلت إلى الجهات المعنية في دول الاتحاد الأوروبي**، أعدتها مجموعة من مراكز البحوث التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، وشارك فيها ثمانية باحثين من كبار المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط حول (الجماعات الإسلامية) ونسبت الصحيفة إلى مصادر أوروبية في العاصمة البريطانية قولها: (**إن**

التوصية الرئيسية التي خرجت بها الدراسة تدعو إلى ضرورة إلغاء التعليم الديني في المنطقة العربية، باعتباره الوعاء الذي يتخرج منه الإرهابيون حسب ما أوردته الدراسة بالنص ـ وربطت جهات عربية مضطلعة بين قرار الحكومة اليمنية بإغلاق المعاهد الدينية وبين الطلب الأمريكي، ويشكل القرار الحكومي اليمني والذي أحدث أزمة حادة بين حزب المؤتمر الشعبي الحاكم وحليفة السابق حزب التجمع الوطني للإصلاح، بداية لسلسلة إجراءات متوقعة مشابهة سوف تقوم عليها حكومات عدد من الدول العربية)[1].

سيناتور أمريكي يطالب السعودية بوقف دعم المدارس الدينية:

قال السيناتور (جوزيف بيدن) رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي إنه يجب إبلاغ السعودية بضرورة التوقف عن دعم المدارس الدينية التابعة لها، وإلا ستكون هناك عواقب وخيمة لها ولغيرها.

وانتقد يومها وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز

---

(١) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب نقلًا عن الوطن القطرية ١٤٢٢/٣/١٥ الموافق ٢٠٠١/٦/٧.

رحمه الله، موقف السيناتور الأمريكي في تصريحات نشرتها صحيفة عكاظ السعودية.

والحديث عن هذه الحرب المفتعلة على الإرهاب يطول وأختم بكلمات للكاتب البريطاني **(باتريك سيل)** المتخصص في شؤون الشرق الأوسط:

(ومن سوء حظ الولايات المتحدة إخفاقها الذريع في التميز بين الإرهاب وحق الشعوب في مقاومة الاحتلال والقمع!! إنها للأسف الشديد لا ترى أي تناقض بين تزويد إسرائيل بالحوامات الهجومية التي تستخدم في اغتيال الشخصيات الفلسطينية، وبين شجبها الشديد لكل محاولة يقوم بها الفلسطينيون للحصول على أسلحة للدفاع عن أنفسهم وبلادهم، مصرة على اتهامهم بممارسة الإرهاب[1].

والحديث يطول عن الكذب والدجل الذي يمارسه المجتمع الدولي في حديثه عن الإرهاب، وما نراه اليوم من تدخل الدول الكبرى في القضية السورية والشعب السوري يذبح ويشرد، وتهدم بلده حجرًا حجرًا منذ ما يقارب خمس سنوات على مرأى

---

(١) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب ص ١٦٤.

ومسمع من العالم كله، دون أن تصدر إشارة إلى الإرهاب الذي تقوم به هذه الدول التي تدخلت بجيشها وسلاحها في قتل الشعب السوري ، وأصبح حال هذه الدول مع الإرهاب كما قال القائل: (رمتني بدائها وانسلتْ).

وما نقلت لك أخي القارئ هو غيض من فيض، يمكنك الرجوع إلى كتابيّ (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب)، (ضحايا بريئة) للمؤلف د.، **محمد** بن عبد الله السلومي.

حيث وثَّقَ كلَّ ما ذكره عن الشعار الأمريكي (**الحرب على الإرهاب**) والذي دندن عليه بعده كل من أراد أن يحارب الإسلام، الكتابان مطبوعان منذ أكثر من اثني عشر سنة وقد أحببت أن أُفصِّل في هذا الموضوع أكثر من غيره لأن كلَّ المسلمين المخلصين اليوم يكتوون بنار هذه الحرب المزعومة، كفانا الله شر الأشرار وكيد الفجار، وهيأ لنا أهل الرشد والصلاح، ليقودوا سفينة النجاة نحو شاطئ السلام والحرية والكرامة بعون الله تعالى وتوفيقه، هذه المبادئ النبيلة التي لن توجد إلا في شرع الله الذي يحترم حقوق الجميع دون تمييز.

والخلاصة: لابد أن نعلم أنَّ القضاء على الإرهاب لن يتم إلا

باجتثاث جذوره، وأعظم هذه الجذور هو الظلم والطغيان والاستكبار في الأرض من الدول الكبرى التي لسان حالها يقول لنا ـ معشر المسلمين ـ ما علمت لكم من إله غيري.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

** ** **

الفهرس